الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

# البناء الحجاجي في "غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء"

## لمحمد بن مبارك الجزائري الدمشقي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي.

إعداد الطالبتين:
- نعيمة لعور
- نعيمة زغمار

إشراف الأستاذ:
– بشير عروس

السنة الجامعية: **2016 / 2017.**

وبـه نستعيـن

# دعـــاء

اللهم باسمك نقتدي، وبهديك نهتدي وبك يا معين نسترشد ونستعين

فنسألك أن تملأ بنور الحق بصائرنا، اللهم لا تصبنا بالغرور إذا نجحنا

ولا باليأس إذا أخفقنا، وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما اللهم أضئ بالعلم طريقنا

وقوي به سواعدنا واشدد به من عزائمنا ولا توثق به غيرنا ولا تحرمنا من عزيمة نيله

وطلب من كل مكان والزيادة منه في كل آن وقوي به إيماننا وصلي اللهم وسلم

وبارك على سيدنا محمد صاحب العلم سيد الأمم.

# شكر وتقدير

## " لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

إلى من أعاننا في انجاز هذه المذكرة نتقدم بخالص شكرنا وامتناننا إلى الأستاذ الفاضل: بشير عروس الذي أشرف على هذا البحث، في الواقع ما كان هذا البحث أن يأخذ هذه الصورة لولا توجيهه لنا حيث لم يبخل علينا بنصائحه التي أفادتنا طيلة بحثنا بالرغم من إشرافه على عدد كبير من الطلبة لكنه ساعدنا بكل ما يستطيع والى كل من ساعدنا بمعلومة أو كلمة أو توجيه أو تشجيع

إلى كل من أمد إلينا يد العون وساهم معنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد نتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان

شكرا جزيلا

# مقـــــدمـــــة

مازالت المناظرة من الفنون الأدبية التي لم تكد تحظى بحظ وافر من الدراسات مثل كثير من الفنون النثرية الأخرىوعماد المناظرة الجدل لبيان الحقّ وإبطال حجّة الخصم وفي هذا مجال لتنويع الكلام وصياغة المعاني وتزيين العبارات، مما دفعنا على اختيارنا بحث (البناء الحجاجي في "غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء" لمحمد بن مبارك الجزائري)، رغبة في التعرف على الآليات الحجاجية في المناظرة ولتسليط الضوء على أديب جزائريلم يسعفنا الحظ في التعرف من قبل على أدبه؛ وبمراجعتنا المدونة قيد الدراسة مرارا، وتركيزنا على ملاحظة الحجاج فيها حاولنا الإجابة عن أسئلة البحث الآتية: فيما تتمثل آليات الحجاجية في مناظرة الأرض والسماء لمحمد بن المبارك؟ وكيف انبنت؟ وما مدى تكامل هذه الآليات لتحقيق الإقناع؟ ثم ما الغاية من مثل هذا القيد؟ وللإجابة عن كل ذلك استعنا بالمنجزات التداولية والتراث البلاغي وكذا بالمنهج التاريخي وما وقع بين أيدينا من دراسات في الجدل والحجاج؛ فانقسم بحثنا إلى فصلين تعرضنا في أولهما إلى المناظرة والحجاج درسنا فيه المناظر ة وأنواعها والحجاج وآلياته وأنماطه؛ وخصصنا الفصل الثاني لدراسة آلية الحجاج في المناظرة قيد الدراسة وفيه تناولنا الأساليب البلاغية والأساليب اللغوية والأساليب المنطقية لنخلص في الخاتمة إلى أهم النتائج التي أصفر عنها البحث وقد بينا بملحق فيه تعريف وجير عن المؤلف ونسخة عن المدونة " غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء"، وقد أفاد بحثنا هذا في جملة أبحاث يمكن اعتبارها ركائز في دراسة الحجاج من مثل الحجاج في القرآن لعبد الله صولة، والخطاب والحجاج لأبي بكر العزاوي، وأهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية لحمادى صمود، مع تنبهنا إلى قلة الدراسات التي تناولت الحجاج في المناظرة وبخاصة المناظرات التي ألفها مبدعون جزائريون، مما شكل جزءا من صعوبات هذا البحث الذي لم نجد فيه الطريقة المعبرة كما كنا نحسب لارتباط المناظرة بالجدل والحجاج، بالإضافة إلى كثرة التوجهات التي تشتت الباحث في هذا المجال.

وفي الأخير نتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذنا المشرف "بشير عروس" على ما خصنا به من رعاية صادقة وتوجيه سديد فكان له الأثر في بلوغ هذا البحث ما بلغه.

# الفصل الأول:

# في المناظرة والحجـــاج

**المبحث الأول: المناظرة وأنواعها**

**المبحث الثاني: الحجاج مفاهيمه وآلياته النظرية**

**المبحث الثالث: أنماط الحجاج**

## المبحث الأول: المناظرة وأنواعها وشروطها

### I. مفهوم المناظرة

#### 1-لغة

ورد في لسان العرب المناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما معا كيف تأتيانه.

والتناظر التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراودك في الأمر وتناظره، وناظره من المناظرة.

والنظير: المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء.ويقال ناظر ت فلان أي صرت نظيرا له في المخاطبةوا ٍذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب[1].

وجاء في معجم مقاييس اللغة نظير النون والظاء والراء أصلا صحيح، ترجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء. وهذا نظير هذا، ومن هذا القياس، أي أنه إذا نظر إليه ٍلى نظيره كانا سواء.[2]

النظر محركة الفكر في الشيء تقدره وتقيسه..وا ٍذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكرا وتدبرا بالقلب. والتناظر التراوض في الأمر ونظيرك الذي يراوضك وتناظره والمناظر المثل والشبيه.

يعرفه أبو الخير أحمد، المشهور باسم طاش كبرى زاده بقوله :" اعلم أن المناظرة في اللغة مأخوذة إما من النظير أو من النظر بمعنى الإبصار أو الانتظار"[3].

#### 2- اصطلاحا:

علم المناظرة هو: مسائل يبحث فيها عن أحوال وظائف المتناظرين من حيث كونها مقبولة أو مردودة، وفائدته حفظ الذهن عن الخطأ في المناقشات[4]، بحسب هذا التعريف يتضح أن المناظرة مسائل يبحث فيها عن أحوال ووظائف المتناظرين.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر ، ط3، بيروت، 1994م، ص 216- 219.

[2]- أبي الحسين أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، المجلد الخامس، دار الجيل، ط1 بيروت، 1991م، ص 444.

3_ طاش الكبرى زادة: شرح آداب البحث ، مجلة (المناظرة)، السنة الثانية، العدد الثالث، يونيو، 1990م، ص 17.

4_أبي مصطفى البغدادي: الواضح في علم المناظرة، شرح وتوضيح على متن طاش كبرى زاده، د ط، د ت، ص05.

يعرف طه عبد الرحمن: " المناظرة " بقوله: « المناظرة هي النظر من جانبين في مسألة من مسائل قصد إظهار الصواب فيها»[1].

أما المناظر فهو من كان عارضا أو معترضا، وكان هدفه إحداث أثر، هو الإقناع بالصواب أو الاقتناع به[2]، سواء ظهر على يده أو على يد نظيره.

ويعرفها عبد الرحمن حنبكة الميداني بأنها: « المحاورة بين فرقتين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظروا إبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره».[3]

يعرفها أبو الخير أحمد بقوله: «هي النظر بالبصيرة من الجانبين بالنسبة بين الشيئين إظهارا للصواب»[4]، بحسب هذا التعريف تكون المناظرة مباحثة عقلية تتم بجانبين في مهاد خلافي،ومتو خاها إظهار الصواب.[5]

مما سبق نستنتج أن المناظرة ممارسة حوارية قائمة على التفاعل بين متخاطبين يشتركان في إنتاج المعرفة عبر المسار الحجاجي.

**II- أنــواع المناظرة:**

يسهب الدارسون في تقسيم المناظرات، ولا نكاد نجد ارتباطا بينا في ذلك إلا أننا يمكن أن نصنف المناظرات بحسب واقعيتها أو تخيلها إلى صنفين :

1_ مناظرات واقعية: وهي ما يكون فيه المتناظران شخصيتان حقيقيتان .

2_ مناظرات متخيلة : وهي مناظرة يتخيلها مبدع ويسوقها على ألسنة شخصيات يستحضرها، وقد تكون من الشخوص الإنسانية، أو حتى من العجماوات، وبالعودة إلى المناظرات الواقعية نجد نوعين كبيرين.

---

5_عبد الرحمن طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط02، 2000، ص 46.

6_ المرجع نفسه، ص46.

[3]- عبد الرحمن حنبكة الميداني : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، (صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي) ، دار القلم ، ط4، دمشق، 1414هـ، 1993م، ص 371.

[4]- طاش كبرى زاده،: شرح آداب البحث، ص 17.

[5]- عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، لبنان، 1434هـ، 2003م، ص 130.

**1- مناظرة طائفية:**

وهي التي تتضمن المنافرات والمفاخرات بين القبائل أو الأشخاص، إذ تعد المنافرة أحد الأنماط الأدبية الشفوية، التي كان لها دور في نشأة المناظرة العربية، فالمناظرة لأصالتها في تاريخ الأدب العربي كانت حاضرة بقوة فيه، حيث عرفت المنافرات بين القبائل والأفراد خاصة في أوقات الحرب، فكان الشاعر- عادة ما يكون فارسا- يلعب دورا إعلاميا مهما في قبليته يسعى من خلاله إلى الدفاع عنها بشعره[1]، وذلك بهجاء الأعداء والرد على شعرهم وهجائهم والطعن في قبيلة خصمه، ومن أمثلة هذا الفن ما دار بين" الجرير" والفرزدق"، و" عبيد بن الأبرص"و" إمرؤ القيس" .

أما المفاخرة فهي من الأغراض الأدبية الشعرية، وهي وليدة الإعجاب بالنفس أو الجماعة التي ينتمي إليها الشاعر، وقد كان هذا الغرض من الأدب أكثر الأغراض الأدبية انتشارا وتأثيرا في الأغراض الأخرى[2]، إذ يزخر التاريخ العربي الإسلامي بالمفاخرات، التي تنوعت وتعددت أشكالها ومضامينها، فهي لها علاقة وطيدة بالمنافرة، ومن أمثلة ذلك مفاخرة القبائل لبعضها البعض، كما كان الشاعر يفتخر بفروسيته، شجاعته، بطولته وفصاحته، وما كان يدور في مجالس الخلفاء، والمفاخرة بين الأنصار والمهاجرين في سقيفة بين ساعدة والمفاخرات بين" النابغة الذبياني" و" النابغة الجعدي".

-فالمفاخر ة نوع من المناظرة التي تبنى على التباهي بين طرفين، حيث يسعى كل طرف إن يبدو أكثر رفعة وشأنا من الطرف الآخر بالاعتماد على الحجج والبراهين،فالمفاخرات ليست غايتها بلوغ الحقيقة بقدر ما يكون مرادها بلوغ الهدف المنشود وغاية المناظرة الطائفية ليست بلوغ الحقيقة بقدر ما تكون غايتها إعلاء الشأن الرفعة.

**2-مناظرة علمية:**

وهي المناظرة التي يكون موضوعها علميا، وتختلف بحسب اختلاف قضاياها فمنها:

---

[1] - مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم)، علم الكتب الحديث، ط1، تونس 2009، ص 56.

[2] -غازي طليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي؛ قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الفكر، ط1، دمشق، 2002 ص 168.

**أ-المناظرة الكلامية:**

سميت بكلامية لأن موضوعاها " يدور حول مسائل علم الكلام، وبخاصة أمور العقيدة، وقد برع في هذا النوع من المناظرات، الجاحظ، وأبى هديل العلاف، وابن أخته النظام، يقول الجاحظ في بيان أهميتها" ولو كان أعلم الناس باللغة، لم ينفعك في باب الدين حتى يكون عالما بالكلام"[1].

وازن الجاحظ بين علم اللغة وعلم الكلام أيهما أنفع للدين، فقدم بمكانة المتكلم على اللغوي،و جعل هذا الأخير في مرتبة تالية خادما له.

حمل المتكلمون في مناظرتهم مسؤولية توضيح تلك الجزئيات الدقيقة التي تخضع لعلم المنطق في الأمور الدينية، والتي لا تقيل التنظيم والدورات مثل موضوعات التي تخص عالم الآخر ة وتذكير بنعم الله وتقصير العبد في شكره والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**ب/ المناظرة الفقهية:**

ظهر هذا النوع من المناظرات عند أصحاب المذاهب الفقهية" إذ يستفيد المناظر فيها إلى رأى مذهبه، محاولا التغلب على نظيره من أتباع تلك المذاهب، من خلال استخدام البراهين والأدلة وكان المناظرون فيها لا يخرجون عن حدود اللياقة والأدب"[2].

إن مدار الخلاف عند جل أرباب الفقه هو النصالشرعي ممثلا في القر آن الكريم الذي هو بؤرة الصراع لدى اكبر الطرائق كل حسب نزعته وتوجهه المذهبي، الذي يشق عن بعد تعصبي وأناني متمسك بوجه نظرة على أنها صائبة، مصر على الرأي الذي يتبناه، وهو الأمر الذي يفسد القلوب، ويهيج النفوس، ويورث التعصب ولا يوصل إلى الحق.

يصف الغزاليالمناظرات الفقهية ورجالها بعد تبدّ ل أحوالهم فيقول:"فأكبو ا على علم الفتاوي، وعرضوا أنفسهم على الولاة(...)منهم من حر ّم ونمأنجح والمُ نجح لن يخل من ذل الطلب ومن مهاته الابتذال، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين. وبعد أن كانوا أعزاء بالإعراض عن السلاطين، أذلة بالإقبال عليهم(...)[3].

---

[1] – أبي عثمان الجاحظ: الحيوان، ج2، تح، عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط2، القاهرة، مصر، 1965، ص15.

[2] – سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي؛ النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن ، 2011، ص 169.

[3] – أبي حامد الغزلي: أحياء علوم الدين؛ ومعه المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار لزين الدين العراقي، دار أبي حزم للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص 53.

مالت أنفس المتناظرين من الفقهاء إلى إتباع أهوائهم، والسير على خطى أسلافهم من المذهب الشافعي أو أبي حنيفة، وحجتهم في هذا هو محاولة استنباط دقائق الشرع وتحديد علل كل مذهب.

**ج/المناظرة النحوية:**

موضوعها إحدى المسائل النحوية أو الأصول اللغوية التي وقف عندها كبار النحويين من أمثال: عيسى بن عمر التقفي الذي قال فيه أبو حاتم رواية عن الأصمعي: "كان عيسى لم يدع الإعراب لشيء"[1].

ومن أمثلة المناظرة النحوية المناظرة التي جرت بين سيبويه والكيسائي، والتي مات بسببها كمدّ ا لتغلب الكيسائي عليه فيها، والتي عرفت- فيما بعد- بالمسألة الزنبورية وتعددت في مثل هذه المناظرات النحوية بين البصر يين والكوفيين.

**3-مناظرة أدبيـــة:**

وهي مناظرة تختلف عن مناظرة طائفية – مناظرة علمية) ، وقد ذكر بعض الباحثين أن المناظرات دخلت عصرا جديدا مع الجاحظ(255 ه) في العصر العباسي الأول حيث صاغ مناظراته المتخلية على ألسنة الحيوانات المتخاصمة ، وأراد منها الصراع الخفي والخلاف العميق بين العرب والأعاجم ومن هذا القبيل المناظرة التي أجراها في مقدمة كتابه (الحيوان) بين الديك والكلب[2]، وغايته من ذلك الرياضة الذهنية والمحاجة العقلية التي تخدم ما يرمي إليه، وقد عدت تلك المناظرة من أطول المناظرات المتخيلة.

وأبرز المناظرات المتخلية، المناظرة التي أجراها ابن حبيب الحلبي( 401 ه) بين فصول العام، ومناظرة صاحب أبي تمام البحتري ومتىّ بن بشر الآمدي(ت 631 ه) والمناظرة التي أجراها زين الدين عمر بن الوردي (749 ه) بين" السيف والقلم"، وكذا المناظرة التي أجراها ابن نباتة المصري(ت 768 ه) بين القلم والسيف" ومناظرة "**الورود**" التي أجراها الصنوبري، ومناظرة" الجمل والحصان" للمقدسي (ت 875 ه)وحفظ لنا التر اث مناظرات عديدة لجملة من الأدباء كالمناظرة بين "الليل والنهار"، أو بين" البر والبحر" ، أو

---

[1] -أبي بكر الزبدي: طبقات النحويين واللغوين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة مصر، 1984م، ص41.

[2] – أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق: إيمان الشيخ محمد، وعريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي ط1، 2012، ص142.

بين " الهواء والماء"، أو بين" الأرض والسماء"، وهي التي سنجعلها أنموذجا للمنظورات الأدبية في هذه الدراسة بإذن الله.

إذ يهدف كثير من صناع هذه المناظرات إلى إثبات قضية يتبنونها، أو أن يأتي بها الأديب على سبيل الفكاهة وا ٍظهار مقدرته الشعرية والبلاغين.

## المبحث الثاني: الحجاج – مفاهيمه وآلياته النظرية

### I- مفهوم الحجاج:

**1- لغـــة:** تشير المعاجم اللغوية إلى أن جذر المصطلح يعود إلى ( ح، ج، ج) أورد ابن منظور (711هـ) في اللسان: «الحَجُّ: القَصْدُ، وقد حَجَّهُ و حَجَّنَهُ و فلان، فلانا: إذا أطالوا الإختلافَ إليهم وتَرَدُّدَه ويَزورُونه} ... وقيل: الحُجَّة ما دُفع به الخصم، .وهو رجُلٌ مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ .

والتَحَاجُّ: التَّخاصمُ، وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجَاجٌ وحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجًا نازعَهُ الحُجَّة ... »

واحتَجَّ بالشيء: اتَّخَذَهُ حُجَّة، قال الأزهري: إنما سُمِّيَ حُجَّةً لأنها تَحُجُّ: أي تَقْصِدُ لأن القَصْدَ وا إليها؛ وكذلك مَحَجَّةُ الطريق هي المقصدُ والمسْلَكُ "[1].

وقد اتفق صاحب القاموس (ت 1817 هـ) مع ابن منظور فيما أورده من معان يقول:" الحَجُّ القصدُ والكفُّ والقَوْمُ ..والحُجَّة وكثْرة الاختلافِ والتردّدِ وقَدْمَةٌ للنُسُك..والحجّة المرّة الواحدة شاذّ، لأن القياس الفَتْح ،...وبالضمّ البرهانُ ، والمِحْجَاجُ الجدِل ..."[2].

يتضحُ مما سبق ، أن التنوع اللغوي(الحِجاج)مرهونٌ بالتنوع السياقي الوارد فيه فالحجاج وَفْق اللسان والقاموس المحيط: القصد-الحجة التي يُدافع بها الخصم- الجدل التخاصُم.

ومن خلال هذه المعاني اللغوية نلخص أن الحجاج عمل تواصلي(يتطلب طرفين أو أكثر)، له مقاصد إقناعية أو تأثيرية[3].

**2-اصطلاحا:**

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، نمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها أن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، ص 227/226.

[2] – الفيروز أبادي: القاموس المحيط، فصل الحاء باب الجيم، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، القاهرة، 1980، ص 181.

[3] – أميمة صبحي: حجاجية الخطاب؛ في إبداعات التوحيدي، داكانوا المعرفة للنشر والتوزيع، وسط البلدن مجمع الفحيص التجاري، ط1، عمان، 2015م، 1436 هـ، ص 24.

الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، وكونها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، بواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها[1].

**II.الحجاج في القرآن:**

القرآن كتاب هداية وا ٍصلاح، بمعنى أنه يرمي إلى تغيير وضع قائم . فإذا كان الأمر كذلك كان القرآن حجاجا لأمراء فيه[2]، وقد ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة، فقد جاء بلفظ حجاج وجدل وبرهان، ونلمسه في آيات كثيرة ، ونأخذ قوله تعالى:

" ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه" [3].

ولقد فسر هذه الآية محمد الطاهر بن عاشور بقوله:" معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على رنة المفاعلة ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة، وأن الأغلب أن يفيد الخصام بباطل"[4].

وقال أيضا ابن عاشور في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى" ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم"[5]، وفسرها ابن عاشور بقوله: والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"[6].

نستخلص من كلام ابن عاشور من خلال تفسيره لبعض الآيات ما يلي:

أنه جعل الحجاج مرادفا للجدل " فعل الجدل المدافعة ليظهر الحق أي دفع السائل، وعلم الجدل هو العلم الذي يعرف فيه صحيح الدفع وفاسده، وبعبارة أخرى الجدل كفعل رد للخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة، والجدل كعلم آلة يتوصل بها إلى فتل الخصم عن رأيه

---

[1]– أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص ب 4170 درب سيدنا، ط 1، الدار البيضاء، ، 1426، 2006، ص 17/16.

[2] – قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، اربد، 2012 ص26.

[3] – سورة البقرة، آية 257.

[4] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، نقلا عن عبد الله صولة: الحاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفرابي، ط2، بيروت، 2007، ص 11.

[5] – سورة النساء الآية 107.

[6] – المرجع نفسه، ص 11.

إلى غيره بالدليل أو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر والمناظر (المعلل والسائل) الشك والإرتياب"[1].

**III.الحجاج عند الدارسين:**

**عند الغرب:**

**الحجاج عند بيرلمان:**

عرف بيرلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية[2].

**عند العرب:**

**الحجاج عند طه عبد الرحمان:**

وفي اصطلاح طه عبد الرحمان يدعى حجاجا"كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها" فالخطاب الحجاجي حسب قائم على قصد الإفهام، دون إلزام المخاطب بالدعوى المطروحة[3].

من خلال هذه التعريفات والمفاهيم المختلفة للحجاج يتضح أن الحجاج فعل خطابي موجه من المرسل إلى المتلقي، قائم على سلسة من الحجج غايته مخاطبة العقل.

**III-تقنيات الحجاج: (أنواعه):**

إن الأشكال الحجاجية التي يمكن اعتبارها مواضيع حجاجية أو معاني حجاجية على نوعين أي لها نوعين من الطرائق: طرائق الوصل أو الاتصال " وطرائق الفصل أو الانفصال ومعنى هذا أنه توجد أشكال حجاجية اتصالية وأشكال حجاجية انفصالية، والمقصود بالطرائق الاتصالية الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة أو الغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخرة تقويما إيجابيا أو سلبيا. ومن الأشكال الاتصالية الحجج أو الأدلة الشبه المنطقية والحجج على بنية الواقع الحجج المؤسسة لبنية الواقع شأن الحجج التي

---

[1] – حمو النقاري: منطق الكلام الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب 2005، ص 366.

[2] – سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة؛ بنيته وأساليبه، عالم الكتب،ط1 الأردن، 2008، 22.

[3] – طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي المركز الثقافي، ط2، الدار البيضاء، 2006، ص 226.

تستخدم الحالات الخاصة حجة تدعم رأيا ما ( المثل والشاهد والمثال) وشأن الحجج المستخدم فيها التمثيل فهي تعاد بواسطتها صياغة بعض العناصر الفكرية على غرار الأشكال المسلم بها في مجالات أخرى من مجالات الواقع (التمثيل والاستعارة )[1].

الطرائق الانفصالية: القائمة على الفصل بين مفاهيم والمعطيات وهو ما ينجم عنه توليد حقائق جديدة ينشئها المحاج بمفعول ما أجراه على تلك المعطيات وما مارسه على تلك القيم من فضل تتحكم في مجراه مقولتنا الظاهر والحقيقة [2].

**1-الطرائق الاتصالية:**

**1-1-الحجج شبه المنطقية**

تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية في البرهنة(...) وهي حجج تعتمد البنى المنطقية مثل التناقض .

والتماثل التام أو الجزئي وقانون التعدية كما تعتمد الحجج شبه المنطقية العلاقات الرياضية مثل علاقة الجزء بالكل وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التواتر[3].

**أ/الحجاج شبه المنطقية** التي تعتمد البنى المنطقية: وهي أنواع:

***الحجاج بالتناقص وعدم الاتفاق:** يقصد بالتناقص وجود قضيتين إحداهما نفى للأخرى أما عدم الاتفاق فمرتبط" وضع ملفوظين على محكي الواقع والمقام، مما يحتم اختبار إحدى الأطروحتين واطرح الأخرى.

***الحد والتعريف:** يكون فيه المعرف والمعرف متماثلين لفظا، مما يحمل على عدد اللفظ الثاني واردا على سبيل المجاز. ويمثل لذلك برلمان بالقول:" المرأة هي المرأة" وهي عبارة لها قيمتها الحجاجية في مقامات خاصة.

---

[1] -عبد الله صولة: في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، الناشر: مسكيلياني للنشر والتوزيع، 41شارع ايران لافانات، ط1 تونس، 2012، ص 41.

[2] علي الشّبعان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل؛ في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والإستراتيجيات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بن غازي، لبيا، 2010، ص 132.

[3] -علي الشعبان،الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل؛ في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقر ة بحث في الأشكال والإستراتيجيات ص 134، 135.

***الحجج القائمة على العلاقة التبادلية:** تقوم على تمرير حكم ما من حالة معينة إلى أخرى لاحقة عليها. ويمثل عبد الله صولة لذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1].

**ب/ الحجج شبه المنطقية** التي تعتمد على العلاقات الرياضية:

تعتمد هي الحجج في واقع الأمر قواعد رياضية تشكل خلفيتها العميقة ونسيجها الداخلي بل تؤسس طاقتها الحجاجية وتعد معينها الإقناعي وهي عديدة أهمها على الإطلاق حجة التعدية.

*** حجة التعدية:**

أساس هذه الحجة وجوهرها المعادلة الرياضية التالية :

أ× ب

⟵ أ×ج

ب×ج[2]

وهي تقوم على استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين العنصرين الأول والثاني [3].

**أ- إدماج الجزء في الكل:**

يكون الحجاج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي: "ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء" من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر:

" ما أسكر كثيره فقيله حرام".

-أو قول لوك: "كل ما يحجّره القانون على الكنيسة لا يمكن لأي قانون كنسي أن يحلله لأي عضو من أعضائها.

[1] -عبد الجليل العشر اوي: الحجاج؛ في الخطابة النبوية، عالم الكتاب الحديث، ط1، الأردن، 2012، ص 36.

[2] – سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ؛ بنية وأساليب، ص 203.

[3] – عبد الجليل العشراوي: الحجاج؛ في الخطابة النبوية، ص 36.

وتكون العلاقة في إدماج الجزء في الكل منظورا إليها، عادة من زاوية كمية بالكل يحتوي الجزء وتبعا لذلك فهو أهم منه وهو ما يجعل هذا الضرب من الحجاج في علاقة بمواضع الكم أو معاني الكم التي رأينا[1].

**ب-تقسيم الكلّ إلى أجزائه المكونة له:**

إن تصور الكل على انه مجمل أجزائه تبنى عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم أو التوزيع كقولنا: الكلام اسم فعل حرف.

إن الشرط في استخدام الحجة القائمة على التقسيم استخداما ناجحا هو أن يكون تعداد الأجزاء شاملا يقول quintilien في ذلك:" إن نسقط عند تعدادنا الأجزاء فرضية واحدة يهو صرحنا [الحجاجي] كله ويصبح ضحكة [للجميع]".

لم المحاجة بالتقسيم؟ إن الغاية الأساسية منها حسب برلمان البرهنة على وجود المجموع ومن ثمة تقوية الحضور بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه فعلي سبيل المثال برهنتنا على أن مدينة بحالها قد هدمت، لشخص ما ينفي هدمها يكون بتعداد الأحياء المتضررة تعدادا شاملا. لكن تعددنا الشامل هذا لا يكون لغاية البرهنة على صحة التضرر المدينة إذ كان المخاطب لا ينكر خبر الضرر وإنما يكون حسب برلمان لغاية البرهنة حجاجية أخرى هي إبراز حضور الأشياء[2].

**2الحجج المؤسّسة على بنية الواقع:**

لا يعتمد هذا الصنف من الحجج على المنطق وإنما يتأسس على التجربة وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكونة للعالم فالحجاج هنا ما عاد افتراضا وتضمينا بل أصبح تفسيرا وتوضيحا، تفسيرا للأحداث والوقائع وتوضيحا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشيائه. فالمتكلم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج إنما يذهب في الواقع إلى أن الأطروحة التي يعرضها تبدو أكثر إقناعا كلما اعتمد أكثر على تفسير الوقائع والأحداث وأن الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انغرست مراجعة في الواقع وتتدّلت عناصره فيما حدث وما يحدث والواقع أن الحجج المؤسسة على بنية الواقع كثيرة[3] ومنها:

---

[1] -عبد الله صوله: في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، ص 47/ 48.

[2] – المرجع نفسه، ص48.

[3] – سامية الدريدي: الحجاج، في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة؛ بنية وأساليبه، ص 214.

**أ/التتابع للحجةّ السببّيةّ والحجةّ البرغماتيّ ة:**

يمكننا أن نبني الحجاج على تتابع ثابت للأحداث محلين على الرابط سببي يصل بينهما ويقدم أو ليفيي روبل في هذه التقنية الاستدلالية المثال التالي:

" إذا كان جيش ما يملك دائما معلومات دقيقة حول العدو فإننا نستنتج أن مصلحة المخابرات عنده ممتازة وأنها ستظل كذلك دائما[1].

***الحجاج بالوصل السببي:**

*يتضمن الربط بين الأحداث المتابعة لعلاقات سببية[2]، وللوصل ألسببي ثلاث ضروب من الحجاج :

-حجاج يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي.

**مثال:** اجتهد فنجح.

-حجاج يرمي إلى أي يستخلص من حدث ما وقع سبب أحدثه وأدى إليه.

**مثال:** نجح لأنه اجتهد.

-حجاج يرمي إلى التكهن بما سينجر عن حدث ما من نتائج.

**مثال:** هو يجتهد فسينجح[3].

***حجـة التبريـر:**

و"هي حجة تقوم على الاتصال والتتابع وإن لم تكن لعتمد فيها أساس على السببية وتتمثل في أن نقول حسب برلمان:"بما أننا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحينا في سبيله بما لو أعرضنا على تمامه لكان مضيعة للمال وللجهد فإنه علينا أن نواصل إنجازه" وهذا التبرير مما يقدم صاحب البنك عادة بحريفه الذي أفلس عسى أن تستقيم الحال ويؤتي المشروع أكله"[4].

***حجـة الاتجـــاه:**

وتتمثل أساسا في التحذير من مغبّ ةإتّ باع سياسة المراحلالتّازليّ ة كقولنا إذا تنزلهذه المر ّ ة وجب عليك أن تتّخذ أكثر في المر ّ ة القادمة والله أعلم أين ستقف بك سياسة

---

[1] – المرجع نفسه، ص 215.

[2] – عبد الجليل العشراوي: الحجاج؛ في الخطابة البنيوية، ص 37.

[3] – عبد الله صوله: في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، ص 50.

[4] – المرجع نفسه، ص50.

التّنازل هذه؟ أو التحذير من مغبّة انتشاظاهرة ما ممّا يسمّى حجّة الانتشارأو حجّة العدوى كأن يقال في سياق التحرير:" اللّي تعش خوك تغدّاك". أوكعبّة طماطم خامرةّ تخمّر الشكارة بكل" [1].

**ب/وجوه الاتّصال التّواجدي:**

***الحجاج بالشخص وأعماله:** ينطلق من مقولة الترابط الحاصل بين الشخص وأعماله وصعوبة الفصل بينهما ف" علم الأخلاق والقضاء يعتمدان [هذين المفهومين] من حيث هما مفهومان لا فكاك بينهما[2].

***حجة السلطة:** وتستمد فعاليتها من المكانة التي يحتلها" مصدرها" أي سلطة التي يمثلها دينية كانت أو علمية أو سياسية أو اجتماعية عرفية[3].

***الحجاج بالمثل:** الحجاج بالمثل ينطوي على بعض الخلاف لموضوع القاعدة الخاصة التي تسعى المثل إلى تثبيتها. ولكن هذا الحجاج يفترض اتفاقا مسبقا على إمكانية التعميم بعد التخصيص، أو على الأقل تفادي آثار القصور أو الجمود لهذا المثل.

الأمثال هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي بما يختزنه من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية ذات قيم مجتمعية تحظى باهتمام الأفراد، وتستخدم داخل القول الحجاجي للاقتناع بما تقدمه من تصور وتجريد للأشياء، وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي، نظرا لما تحدثه من تماثلات بينها وبين الأهداف من إدراجها وسوقها، وهي بذلك تدخل في إطار التمثيل الحجاجي[4].

**1-3-الاتّصال المؤسس لبنية الواقع:**

هي التي تؤسّس هذا الواقع وتنبيه أو على الأقل تكمله وتظهر ما فيه من علاقات بين أشياءه وتجلي ما لم يتوقّع من هذه العلاقات وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوناته**فتحدّث** عندها عن تقنيّة في الاستدلال المؤسّس لبنية الواقع وهما تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة والاستدلال بواسطة" التمثيل"[5].

---

[1] -عبد الله صوله: في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، ص 50،51.

[2] – المرجع نفسه، ص 50، 51.

[3] – عبد الجليل العشراوي: الحجاج؛ في الخطابة البنيوية، ص 37.

[4] – قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرني، ص 46.

[5] – سامية الدريدي: الحجاج، في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة؛ بنية وأساليبه، ص242.

**تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصّة:**

ومن هذه الحالات الخاصة الحجاج بالمثل والاستشهاد والتمثيل: يؤتى بالمثل لتأكيد الفكرة المطروحة، أو فض خلاف. ويلحق بالمثل الاستشهاد بالنصوص كالمقولات الدينية أو كلمات القواد الخالدين بالنسبة للمتلقي. أما التمثيل فلا تغيب عنا قيمته الحجاجية لأنه يقوم على إبراز تشابه العلاقات، وإن كانت تختلف من حيث المصدر[1]، كقوله تعالى:

" مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت"[2].

**2/الطرائق الانفصاليّة في الحجاج : الفصل بين المفاهيم:**

تحدثنا فيما سبق عن ثلاثة مظاهر من الاتصال الحجاجي هي الحجج الشبه المنطقيّة والحجج المؤسّسة على بنى الواقع والحجج المؤسسة لبنى الواقع وهي طرائق ثلاث في الحجاج تربط بين عناصر غير مترابطة في أصل وجودها.

والطرائق التي نعرض لها فيما يلي هي الطّرائق الانفصالية التي تمثل التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل عادة كلا لا يتجزأ أو على الأقل كلا متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد، ووفق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكونة له وبحمل أغراضه على جوهره ومحاكمة ظاهرة في ضوء حقيقته[3].

إن طرائق الانفصالية تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها ولها مفهوم واحد، ذلك أنها عناصر راجعة إلى اسم واحد يعنيها،وإنما وقع الفصل بينهما وعمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجمع بينهما لأسباب دعا إليها الحجاج.

**IIIالعلاقات الحجاجية:**

**1-علاقة التتابع:**

**يقع التتابع إجمالا على مستويين**أحدهما مستوى الأحداث حيث تنغرس الحجّة في الواقع وتنتهي بداهة إلى أحد الصنفين وهماالحجج المؤسّسة على بنية الواقع والحجج

[1] – عبد الجليل العشراوي: الحجاج؛ في الخطابة، النبوية، ص 37.

[2] – سورة العنكبوت، الآية: 41.

[3] – عبد الله صولة: الحجاج في القرآن : من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، ط2، بيروت، 2007، ص 32.

شبه المنطقية. وثانيهما مستوى أعمق من الأولىيتّ صل بالحجج فيما بينهما، حيث تقتضي الحجةّ حجّ ةأخرى وتؤكّ د الثانية الأولى[1].

**2-العلاقة السببية:**

هذه العلاقة تعد من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في الملتقي حيث لا يكتفي المتكلم فيها على ربط الأفكار، والوصل بين أجزاء الكلام بل يعمد إلى مستوى أعمق فيجعل بعض الأحداث أسباب لأحداث أخرى، ويسم فعلا ما ينتجه متوقعة لفعل سابق ويجعل موقف معيّ نا سببا مباشرا الموقف لا حق [2].

**3-علاقة الاقتضاء:**

تعد علاقة الاقتضاءذات طاقة حجاجية عالية، حيث تجعل الحجّ ة تقتضى النتيجة اقتضاء فتغدو العلاقة ضربا من التلازم وهو ما لا توفّ ره سائر العلاقات الأخرىحتى السبّ بية وأقدر الروابط الحجاجية على توفير هذا النوع من العلاقة أدوات الشرط المختلفة[3].

**4-علاقة الاستنتاج:**

هذه العلاقة منطقية، مما يدينبه الحجاج للمنطق، وهي تؤكّ أنّ الحجّ اج في جانب من جوانبه يعدّ للانتقال من فكرة إلى أخرىبشكل منظّم وبيسر[4] مثال:

إذن
أ ⟵ ب

فالحجة "أ" تقود إلى الحجة " ب" وفق تسلسل منطقي [5].

**5-علاقة عدم الاتفاق أو التناقض:**

بواسطة هذه العلاقة ندفع أمرا بإثبات تناقضه مع نتيجة للخطاب، وا ٍن كان التناقض ليس شكليا خالصا وا ٍنّ ما أقصى ما يمكن الحديث عنه هو انعدام التوافق بين الحجّ ة والنتيجة[6].

---

[1] – قدور عمران: البعد التلولي والحجاجي في الخطاب القر آني، ص 43.

[2] –المرجع نفسه، ص 44.

[3] – المرجع نفسه، ص 44.

[4] – المرجع نفسه، ص 44.

[5] – سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة؛ بنيته وأساليبه، ص 339.

[6] – قدور عمران: البعد التلولي والحجاجي في الخطاب القر آني، ص 44.

## IV. منطلقات الحجاج:

لتحقيق الاقتناع، يستخدم المتكلم في سياق حجاجه مقدمات يبنى عليها استدلاله وهذه المقدمات تشكل موجهات حجاجية وحاملا للاتفاق، ومنها يكون الانطلاق ومن هذه المقدمات:

**1- الوقائع:** وتمثل ما هو"مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس" وهذه الوقائع فيها ما هو عياني، وهو" الشيعة الأكثر أهمية في المقدمات" وفيها المفترضة أي الوقائع الممكنة أو المحتملة [1].

2-**الحقائق:** وتتعلق بالنظريات العلمية والتصورات الفلسفية والدينية المتعالية عن التجربة [2].

**3-الافتراضات:** وهي شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة ولكن الاذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويمها.

والافتراضات إنّ ماتحدّد بالقياس إلى العادي أو المحتمل ولكن هذا العادي وهذا المحتمل يتغيرّان بتغيّر الحالات. فالعادي بالنسبة إلى سائق في حالة طبيعية يكون السر فوق المعدّل الأدنى الذي للسرعة. والعادي بالنسبة إلى سائق دهس مترجلا يكون السير فوق المعدل الأقصى الذي للسرعة ويتغيرّ العادي بتغيرّ الجماعات البشريّة في كلّ مجال من مجالات الحياة.

4- **القيم** إنّ القيم عليهامدار الحجاج بكّل ضروبه وهي لئن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكلية فإنّها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غداء أساسيا فهي التي يعوّل عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من أرائه.

وللقيم نوعان قيم مجرّدة وقيم محسوسة فالمجرّدة من قبيل العدل والحقّ والمحسوسة من قبيل الوطن (تونس مثلا) والكنيسة.

---

[1] – حمادى صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المجلد،x ،x xx، كلية الآداب منوبة، د ط، تونس ، ص 308.

[2] –المرجع نفسه، ص 309.

5- **الهرميات:** إن القيم درجات ومراتب، مما يعني خضوعها للهرمية والتراتب. فالعدل مثلا، قد يعتبر أفضل من قيم أخرى نبيلة. ولذلك فالترتيب استعمال حجاجي عملي للقيم[1].

6-**المعاني أو المواضع:** بالمعنى الأرسطي، أي المقدمات العامة التي يلجأ إليها المحاج لبناء القيم وترتيبها. إنها مخازن الحجج والأطر الناظمة لها، والمواضع أنـــواع:

**أ/مواضع الكم:**وهي المواضع المشتركة التي تقر أن شيئا يفضل شيئا آخر لأسباب كمية.

**ب/مواضع الكيف:** وهي تتعلق بالأهمية التي يكتسبها شيء أو فعل معين مقارنة بأشياء وأفعال أخرى.

**ج/مواضع أخرى، ومنها:**

-**مواضع الترتيب:** والتي تقرا فضيلة السابق على اللاحق مثلا

-**مواضع الموجود:** والتي تقر بأفضلية الموجود والواقعي على الممكن والمحتمل والمستحيل.

-**مواضع الجوهر:** وتتعلق بـ" ما يجسد بشكل أفضل نوعا ما" [2].

## المبحث الثالث: أنماط الحجـــاج

### I.الأساليب البلاغية:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية: أي إقناع المتلقي عن طريق استمالة تفكيره ومشاعره معا حتى بتقبل قضية ما.

"ويعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تخص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطاوعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بناءها بما يتناسب مع السياق الذي يحق بخطابه"[3]، ويعمد المرسل إلى توظيف هذه الآليات والأساليب البلاغية بخصائصها وا إمكانياتها الإقناعية، فتكون بمثابة قوالب تنظم الحجج فتعنيه على تقديم حججه في الهيكل الذي يتناسب والسياق الذي ترد فيه.

---

[1] -عبد اللطيف عادل: بلاغة الاقتناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، لبنان، 1434، 2003، ص 87.

[2] - المرجع نفسه،ص 88.

[3] - عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت 2004، ص 476.

**1-الاستعارة الحجاجية:**

جاء في أسرار البلاغة للجرجاني:" اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل على الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقل غير لازم فيكون كالعارية"[1] فالاستعارة من منظور الجرجاني هي انتقال اللفظ من أصله اللغوي ويجري على ما يوضع له.

كما يوجد في المقابل تعريف منطقي للاستعارة وهو:" إبدال قد يحصل به اختصار وا يجاز، وذلك بوضع المستعار مكان المستعار له، والأصل في الإبدال الإستعاري هو قياس لأن الاستعارة من حيث التركيب المنطقي نوع من القياس إلا أنه قياس مختزل، وبعبارة أدق قياس إضماري أي قياس حذفت مقدمته وأكتفي بالنتيجة"[2].

**2/الاستفهام:**

لون من ألوان الإنشاء الطلبي يقصد به " طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار وقيل الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حتى الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما"[3].

ويمكننا من الناحية الشكلية التمييز مبدئيا بين شكلين من الاستفهام، فالجملة الاستفهامية هي جملة غير كاملة منطقيا فهي تطرح سؤالا أو تعبر عن شك وتتخذ شكلين أحدهما مباشر يعتمد على استخدام الأدوات والآخر غير مباشر يعتمد على استخدام فعل يتضمن معنى السؤال.

**2-1أغراض الاستفهام:**

أ-**الإنكار**: هو إبداء النفور والرغبة عن أمر ما لسبب من الأسباب وغرضه أن " ينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب ، إما لأنه ادعى القدرة على فعل مالا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له فأفعل فيفضحه ذلك، وا ما لأنه هم بأن يفعل ما

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت،لبنان، 2001، ص 28.

[2] – شوقي مصطفى: المجاز والحجاج في الدرس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، ط1، دار البيضاء، 2005، ص 23.

[3] – السيوطي: معترك الأقران 431/2 نقلا عن مختار عطية: دلالات في القرآن؛ دراسة بلاغية، دار الوفاء، د ط، مصر ص 46.

لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه وبخ على تعنته"[1].

فالمقصود بالإنكار وغرضه من خلال قول الجرجاني الردع والزجر لا يكون إلا تكذيبا وتوبيخا.

**ب-التوبيخ:** وهو نفور واستنكار فعل مستهجن أو سلوك خارج عن العرف بما لا يستصاغ فإذا رجع عن خطئه المرتكب وعرف قبحه واستنكار الناس له، وأما إذا تمادى في غيه وبخ على هذاالإسر ار ويؤمر بأن يستدل على جوازه.

**ج- التقريـــر:** وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر يعرفه[2]، ويشترط أن نسبقه همزة الاستفهام. ويلعب الاستفهام دورا كبيرا تطرأ لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه بحيث أنه يخدم الخطاب ويلعب دورا أساسيا في الإقناع بالحجة.

**3/الأمـــر:**

الأمر في" لغة العرب عبارة عن استعمالها أعين استعمال نحو، لينزل- انزل- ونزال وصه على سبيل الاستعلاء، فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقية فيه، ليتبادر الفهم عند الاستماع نحو: قم، وليقم زيد إلى جانب الأمر وتوقف ما سواه من الدعاء، والالتماس والندب، والإباحة والتهديد، على اعتبار القرائن"[3].

ويعد الأمر من الأفعال الإنجازية الإنشائية وهدفه توجيه الملتقى نحو سلوك معين.

وللأمر عدة أغراض منها: التهديد، التهكم والتعجيز.

**4/ المحسنات البديعية:**

ويعد البديع وحدة من وحدات النص القابلة للاستعمال في مقامات وسياقات مختلفة، ذلك أن للإشكال الصوتية والموسيقية دورا في الإقناع النصي باعتبارها نشاطا يجري ويحث ويكون قادرا على إنتاج دلالات وتأويلات فهي عناصر أساسية في بناء حجاجية النص لقدرتها على إقناع العقول والأذهان واستمالة النفوس، فهي أحد فروع البلاغة الهادمة إلى

---

[1] – بن محمد الجرجاني: في علم المعاني، ص 88.

[2] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، دار التراث، د ط، القاهرة، ص 331/2.

[3] – السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد): مفتاح العلوم ، تج: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت لبنان، 1407 هـ، ص 318.

الاستمالة والإقناع، وتتمثل هذه الفنون في الطباق ، الجناس، المقابلة والتصريح...و غير ذلك.

**أ-الطبـــاق:**

"الطباق بضدها تعرف الأشياء، بمعنى أن الطباق وا ٍن كان محسنا لفظيا إلا أنه له أثرا معنويا"

وقد تحدث الدارسون عن الطباق بعد تعريفه في تاريخ التفكير البلاغي عن تقسيم طرفيه، فألمعو من خلال الشواهد إلى ما كان طرفاه اسمين أو كان طرفاه فعلين، أو ما كان طرفاه حرفين، وا ٍنه يكون لفظيا ومعنويا، كما يبوا انه قد يكون موجبا أو قد يكون سالبا وأكدوا أن بلاغة هذه الطباق إنما تكمن في الجمع بين الشيء وضده، وما خرج في ذلك فقد فسدت فيه المطابقة وخرجت عن مقاسها الذي وصفوها لها.

**ب/الجناس:**

يعد الجناس من أبرز ألوان المحسنات اللفظية، ومن تعريفاته أنه " تشابه الألفاظ في النطق، واختلافها في المعنى"، وله أنواع كثيرة حفلت بأمثلتها كتب البلاغةوا ٍبداعات الأدباء وقد كان المبدعون يأتون بها في طور السجعية والطبع عفو الخاطر، بيد أنهم في عصورهم البسط والتعمل اهتموا بالإكثار منه، وتكلف الكثير منهم إشاعته في أدبه من أجل الانتفاع بخاصيته في التحسين".[1]

– فالجناس من الحلى اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والمتابعة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة فنجد في نفس القبول، وتتأثر به أي تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع، وهو نوعان:

1- **جناس تام:**وهو ما اتّ فق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، وشكلها وعددها ، وترتيبها.

2- **جناس غير تام:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمورالمتقدّ مة.

[1] – محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي، في أثار لسان الدين ابن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية، دار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد2، ط1، 2009، ص 274

ويتضح من خلال توظيف المحسنات البديعية هو الاقتدار اللغوي على التنويع الموسيقي وعلى توظيف محسنات اللغة، غايته وا ٍن لم تكن منطقية عقلية مباشرة إلا أن غايته التأثير على المتلقي بحيث يميل إلى الأفضل في أسلوبه.

**II.الأساليب المنطقية :**

**1/ السلم الحجاجي:**

**أ/ مفهومه**

عرفه " طه عبد الرحمن" السلم الحجاجي بأنه" عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

1- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم على القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونها.

2- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[1]

- ويعرف السلم الحجاجي أيضا بأنه علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

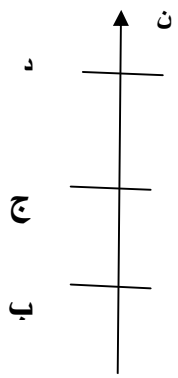


ن: النتيجة

"ب" و"ج" و"د" حجج وأدلة تخدم النتيجة" ن" [2]

[1] – رشيد الرضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثاني: الحجاج مدارس وأعلام ، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد الأردن، 1431، 2010 ص104.

[2] – أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، درب سيدنا، ط1، الدار البيضاء، 1426هـ، 2006، ص 20.

**ب/ قوانينه:**

و أهم هذه القوانين ثلاثة:

**1: قانون الخفض:** يفيد هذا القانون أنه" إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه بصدق في المراتب التي تقع تحتها"[1]، وهذا معناه أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي.

**2: قانون تبديل السلم أو قانون النفي:** ومقتضاه أنه" إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإنّ نقيض هذا القول دليلا على نقيض مدلوله"[2]، وهذا معناه أنه إذا تم نفي إحدى الحجج أدّى هذا إلى نفي مدلول الخطاب، فـ " إذا كان قول " أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإنّ نفيه ( أي ، أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة ".

3: **قانون القلب:** يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تميما للقانون السابق ومفاد هذا القانون، أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الاثباتية "[3].

**2/ الإستشهاد:**

الشاهد عند أرسطو" وهو بمثابة القوانين والشهود، والاعترافات، وأقوال الحكماء، أما في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم، وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصادرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"[4].

إذ لا يمكن لأي مؤلف الاستغناء عن ظاهرة الإستشهاد في كتاباته، من أجل الدلالة على صحة أقوالها إقناع متلقيه، وذلك باستعمال حجج وبراهين مختلفة سواء من القرآن الكريم أو غيره، ومدونتنا التي نحن بصدد تحليلها حافلة بالإستشهادات.

**III . الأساليب اللغوية**

**1/ الروابط والعوامل الحجاجية:**

لما كانت اللغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد استكملت اللغات الطبيعية

---

[1] – طه عبد الرحمن: الحجاج في اللغة أو التكوثر العقلي، ص 277.

[2] – المرجع نفسه، ص 278.

[3] – حمو النقاري: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ط1، الرباط، ص 63.

[4] – محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي؛ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1986م، ص 65.

على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج. فاللغة العربية مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية. نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن ، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، تقريبا، ما، ...إلا... وينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: العوامل الحجاجية ( Les opérateurs argumentatifs) والروابط الحجاجية ( les connecteurs argumentatifs)[1].

**أ-العامل الحجاجي:**

-عن العامل الحجاجي هو مورفيم إذ تم أعمالها في ملفوظ معين، فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ[2].

فهي لا ترتبط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج ولكنها تقوم بحصر وتقيد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، ما... إلا... أدوات القصر.

**ومن هذه العوامل الحجاجية:**

1: **الحصر بـ (ما وا ِلا)- (لا و إلا):** وهي من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجة قوتها الحجاجية وهو" عامل يوجه القول نحو وجهة واحدة نحو الانخفاض"[3].

**2: أسلوب التوكيد:** هناك أدوات التوكيد القول ودفع الإنكار مثل (إن ولا التوكيد) حيث تنهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم المسائل للمتلقي وفرضها عليه، ويكون أسلوب التوكيد بقصد ردّ إنكار المخاطب ودفع الشك وأغراض هذا الأسلوب ثلاثة:

" أحدهما أن يدفع المتكلم ضرر عقلة السامع عنده. وثانيهما: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإن قصد المتكلم أحد هذين الأمرين فلا بد أن يكرر اللفظ الذي ظنه عقلة السامع عنه ... والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا"[4]، ويكون باستعمال العامل الحجاجي إنّ " ولام التوكيد.

---

[1] – قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 35، 36.

[2] – حافظ إسماعيل علوي: الحجاج؛ مفهومه ومجالاته، ج2، عالم الكتب الحديث، ط1، أربد، الأردن، 2010، ص 98.

[3] -عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 520.

[4] – مهدي المخزومي: في النحو العربي؛ نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1424-2003، ص 335 .336

3: **الإستثناء بـ " إنما"**: إنما " أداة استثناء ، وهي مركبة من إنّ " و" ما" وبعد دخول " ماعلى إنّ التوكيدية تغيرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، و" قد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدا عاديا، إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاضرا"[1]، تأتي"إنما" لتصحيح معتقدا أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم واستعمال الاستثناء بـ" إنما" لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحبته، ولكن لمن يعلمه ويقربه إلا أنه يريد أن تتبهه"[2].

**ب- الرابط الحجاجي:**

الرابط الحجاجي مورفيم من صنف الروابط ( حروف العطف الظروف) فهو يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار استيراتيجية حجاجية واحدة وللروابط وظيفتين:

1- تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر.

2- تخدم دورا حجاجيا للوحدات الدلالية التي تربط بينها[3].

إنه نوع من العناصر النحوية والظروف ( الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأن، بل لاسيما، بما أن، إذ...الخ) يقوم بربط بين فعلين لغويين اثنين، وبالتالي فهو موصل تداولي يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي ليجعل منها لغوية يحمل عليه وهي منفصلة بعضها عن بعض[4].

فإذا أخذنا المثال التالي[5]:

زيد مجتهد إذن سينجح في الامتحان.

فسنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح)، وهناك رابط (إذن) الذي ربط بينهم

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط:

- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن....)
- الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما...)
- روابط التعارض الحجاجي( بل، مع ذلك...)

---

[1] - المرجع نفسه، ص 238.

[2] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المدني، ط3، السعودية، 1992، ص330.

[3] - قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص37.

[4] - الراضي رشيد:الحجاجيات اللسانية عند انسكوبر ود ديكورو، المجلد 1، عالم الفكر،د ط، 2005، ص 234

[5] - حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ص64-65.

– روابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما)[1].

**2/ تقنية التكرار:**

وهو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده، ويعد التكرار من محاسن الفصاحة لأن من عادة العرب في خطاباتهم إذا أرادوا أن يفصحوا ويوضحوا مبهما كرروه.

ويعتبر أسلوب التكرار من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، يقول العزاوي: "ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل و الهلهة في البناء، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، انه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد تنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه"[2].

وتقول سامية الدريدي:" إن أسلوب التكرار اللفظي القادر على الاضطلاع بدور حجاجي متى اعتمد في سياقات محددة وتوفرت فيه شروط معينة"[3].

ويعد التقرير من أهم أغراض التكرار، وقد قيل" الكلام إذا تكرر تقرر".

نلاحظ كثرة الرؤى والمداخل التي تناولت الحجاج، وشبه بعضها ببعض أحيانا كثيرة، وعليه فإننا سنحاول مقاربة آليات الحجاج في مدونة قيد الدراسة(غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء) من خلال التعرض للأساليب البلاغية والأساليب اللغوية والأساليب المنطقية.

---

[1] – أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ص 27.

[2] – المرجع نفسه، ص 48.

[3] – سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 168.

# الفصـل الثــاني:

# آليـات الحجـاج في المنـاظرة:

# الأسـاليب البـلاغيـة واللـغويـة والمنـطقيـة

**المبحث الأول: الأساليب البلاغية**

**المبحث الثاني: الأساليب اللغوية**

**المبحث الثالث: الأساليب المنطقية**

## المبحث الأول: الأساليب البلاغية

سوفق نحاول في هذا الفصل أن نبين كيف تمنح البلاغة الخطاب الحجاجي بعدا اقناعيا، فالأساليب البلاغية يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية فقط، بل تؤدي وظيفة اقناعية استدلالية، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية[1]، فالبلاغة لاتصل إلى الإقناع إلا بتوفر الحجج، ولكن بشرط أن تكون حجج عقلية تزيل الشك وتحقق الإقناع.

وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج من "مناظرة الأرض والسماء" الذي استعمل مجموعة من الآليات البلاغية الحجاجية كالاستعارة والاستفهام، والمحسنات البديعية، والأمر سوف نحللها ونبرز كيف عملت حجاجيا.

### 1-الاستعارة الحجاجية:

لقد تحدثنا عن الاستعارة في الفصل النظري، وأوردها الباحثون في المقام الأول في الحجاج، لأن المرسل يلجأ إليهالتحقيق أهدافه، وإذا عدنا إلى مدونتنا "غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسّماء"، فإننا نجدها تتوفر على هذه الآلية الحجاجية.

وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج التي وظفها الكاتب في مناظرته:

*تخاطب السماء الأرض: "وأنت متصفة بالسرف والتبذير"[2].

نجد في المثال أن الكاتب شبه الأرض بالإنسان المسرف والمبذر، فحذف المشبه به وهو "الإنسان"، وأبقى على قرينة من لوازمه وهي"السرف والتبذير" على سبيل الاستعارة مكنية، ولا يتوقف الأمر عند مجرد المشابهة الخاصية(السرف والتبذير)بل يتعداه أنّ هاتين الصفتين مذمومتان، فتتحول الاستعارة البسيطة إلى استعارة حجاجية تؤدي وظيفة سلطوية في ذم الآخر(الأرض) والرفع من شأن الأنا(السماء).

[1]- صابر الخباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق، 2008، ص50.

[2]محمد حسّان الطّيان: المفاخرات والمناظرات، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1421، 2000، ص97.

*"وأنت تأكلين لحومهم أكل النَّهيم"[1].

وفي هذا المثال نجد أن الكاتب شبه الأرض بالحيوانات آكلات اللحوم، فحذف المشبه به وهو "الحيوان"، وأبقى على قرينة من لوازمه هي "تأكلين لحومهم". وهنا لا يتوقف الأمر عند مجرد المشابهة في الخاصية(تأكلين لحومهم)بل يتعداه أنّ هاته الصفة مذمومة فتتحول الاستعارة البسيطة إلى استعارة حجاجية تؤدي وظيفة سلطوية في ذم الآخر(الأرض) والرفع من شأن الأنا(السماء).

*"غصونه ترقص"[2].

شبه الكاتب في هذا المثال الغصون بالراقصة التي تتمايل على صوت الموسيقى فحذف المشبه به "الراقصة"وأبقى على قرينة من لو ازمه "ترقص"على سبيل الاستعارة مكنية، فهذه الصورة شخصت المعنى، مما يبرز المعنى للمتلقي في أجلا صوره مما يضمن الوضوح.

*"إنّ لم تغضّي من طرفك غض الغضّ "[3]

فبالإضافة إلى أن هذا الكلام استعارة من قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وهو بيت شهير يدل على التقليل من الشأن وعدم التطاول إلى مرتبة لا تطاول؛ فان كلمة تغضي من طرفك جاءت في قالب التهديد فيها استعارة مكنية شبه فيها الأرض بالإنسان الذي له طرف (عين)يغضّها(يخفضها) وقد تحولت إلى استعارة حجاجية بما فيها من هذا التجسيد للذلة والانكسار.

من خلال الاستعارة الحجاجية التي تضمنتها مدونتنا أنها في المقام الأول في الحجاج لأنها تساهم بجزء كبير في بناءه لأنه لجأ إليها من أجل تحقيق أهدافه، وهو الإقناع لذلك

[1] محمد حسّان الطّيان: المفاخرات والمناظرات ، ص105.

[2] – المصدر نفسه، ص101.

[3] – المصدر نفسه، ص104.

جعلها النقاد من الآليات الضرورية في بناء الخطاب الحجاجي من ناحية "الاستدلال والتأثير والإقناع"[1].

**2-الاستفهام:**

الاستفهام هو طلب المعرفة حول شيء معين، وله دور كبير في العملية الحجاجية "نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال بحيث أنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه"[2].

وللاستفهام أدوات كثيرة نذكر منها"الهمزة- هل- ما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان..."، الغالب في أسلوب المناظرة أنه يخرج إلى أغراض أخرى غير الاستفهام كالتعجب، الإنكار، التوبيخ، والتحقير إلى ما ذلك.

**أ-الإنكار:**

لقد سبق وأن تحدثنا عن الاستفهام الإنكاري في الفصل النظري، وهو ما يتضمن داخله افتراض الإجابة بالنفي.

وا ذا عدنا إلى مدونتنا"مناظرة الأرض والسماء" فإننا نجدها تتوفر على هذا النوع من الاستفهام.

وتمثل لهذا الصنف بالاستفهام الذي ورد في مدونتنا في قول الأرض:

*"وكيف تزدرين أهلي بالذنوب والمعاصي، وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنواصي؟!"[3].

-فالمفروض أن تأتي الإجابة هنا عن هذا السؤال بما يؤثر النفوس ويستميل العقول لكنها كانت غير ذلك.

---

[1]- وشن دلال: تداولية الاستعارة الحجاجية للنص الرثاء مرثية متمم بن نورية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، جامعة بسكرة، ص132.

[2]- عبد بن عيسى: لبيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم؛ سورة الأنبياء نموذجا، مجلة التراث العربي، د ط، 2006 ص192.

[3] محمد حسّان الطّيان: المفاخرات والمناظرات، ص90.

*"وما هذا التطاول والإقدام، ووجهك موطئ النعال والأقدام؟!"[1].

ففي هذا المثال نجد أن السماء تنكر على الأرض تطاولها، وهي عبارة عن موطئ النعال والأقدام.

*" وهل اختصك الله بالذكر؟! أو اقسم بك دوني في الذكر؟! أو آثرك بالتقديم في جميع كلامه القديم، حتى ترديت بالكبرياء، وتعديت طور الحياء؟!"[2].

ففي هذا المثال أيضا نجد أن الأرض تنكر على السماء بأن الله لم يختصها بالذكر لوحدها، أو أقسم بها دونها، بل ذكرهما معا في كل موضع، ولكنها غير ذلك.

**ب-التوبيخ:**

ومن أمثلة الاستفهام التوبيخي في مدونتنا:

*"وكيف تزدرين أهلي بالذنوب والمعاصي، وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنواصي؟!"[3].

ففي هذا المثال نجد أن الأرض تنكر على السماء ازدراء أهلها باقتراف الذنوب والمعاصي، لأن الله هو الذي يعاقب أو يغفر لعباده.

*" فأنى تفوزين بأشرف الأقدار، وأنت موضع الفضلات والأقدار؟ "[4].

استفهام توبيخي إنكار السماء على الأرض الفوز بشرف الأقدار والمرتبة العليا، رغم الحجج والبراهين المقدمة لها.

**3-الأمر والنهي:**

يعد الأمر والنهي من الأساليب الإنشائية التي ورد ذكرها في مدونتنا، ويقصد بالأمر "ما يطلب حصول شيء على وجه الاستعلاءو الإلزام"

---

[1] محمد حسّان الطّيان: المفاخرات والمناظرات ، ص91.

[2]- المصدر نفسه، ص 89.

[3]- المصدر نفسه ، ص90

[4]- المصدر نفسه، ص 91.

ومن أمثلة الأمر في المناظرة نجد:

*"فالزمي معي حسن الأدب"[1].

ونلمس في هذا المثال صيغة الأمر، وغرضه التوجيه والتوبيخ، حيث طلبت السماء من الأرض التزام الأدب معها، وعدم تجاوز حدودها.

*"واسمعي ياجارة"[2].

وهنا أنجزت السماء فعلا كلاميا إنشائيا في صيغة الأمر، وذلك من أجل تنبيه وتحذير الأرض.

*"اعلمي أيتها الموسومة بسلامة الصدر"[3].

ونجد في هذا المثال أن الأرض أنجزت فعلا كلاميا في صيغة الأمر وغرضه التنبيه والملاطفة.

أما النهي فهو يعد من الأفعال الانجازية التوجيهية، ومن أمثلة ذلك في المناظرة نجد:

*" فلا تشتمي بنا الأعداء"[4].

وفي هذا المثال نجد أن الأرض أنجزت فعلا كلاميا في صيغة النهي، وغرضه التلطّف والنصح.

**4-التهديد**

هو غرض يراد به إشعار المخاطب بمصير سيء سوف يؤول إليه إن لم ينتبه عن سلوكه، ومن أمثلة ذلك في" في مناظرة الأرض و السماء" نجد:

---

[1] محمد حسّان الطّيان: المفاخرات والمناظرات ، ص 106.

[2]- المصدر نفسه ، ص89.

[3]- المصدر نفسه، ص 105.

[4]- المصدر نفسه، ص 106.

*"لأغرقنّك في بحار طوفاني، أو أحرقنّك بصواعق نيراني"[1].

في هذا المثال نجد أن السماء وجهت تهديدا للأرض من خلال إغراقها في بحار طوفانها، أو إحراقها بنيران صواعقها إن لم تكف عن الافتخار بنفسها، وتوجيه المساوئ والاهانات لها".

*"فلا أقسم بمواقع النّجوم" [الواقعة: 75]، وما انطوت عليه من الأسرار والعلوم، إن لم تغضضين طرفك بعض الغض، لأذوينّ بحر هجيري وروجنتك الغضّ "[2].

نلاحظ في هذا المثال تهديد السماء للأرض بأنها إن لم تغض من طرفها فإنها سوف تدمرها وتقضي عليها ببحر هجيرها صدّرت كلامها بالقسم مستعيرة العبارة من القرآن الكريم بما فيه التأكيد على رفعة منزلتها(مواقع النجوم)طالبة من الأرض أن تغض من طرفها وإلا أحرقتها.

**5-المحسنات البديعية:**

للمحسنات البديعية دور حجاجي لا تقتصر وظيفتها في الجانب الشكلي للخطاب حيث يوضح "الشهري" بأن " لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد"[3] فهي تضفي على الخطاب مجموعة من الدلالات والتأويلات التي تجعل العقول تدعن والنفوس تستميل ويقول في هذا الجانب "صابر الخباشة" "إن محسنا لهو حجاجيا إذا كان استعمله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فان المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي محسن أسلوب: ويعود ذلك لتقصيره عن أداء دور الإقناع"[4]، فهي بهذا تعتبر فرعا من البلاغة التي لها دور في القناع وتقتصر في هذه المدونة على الطباق والسجع والمقابلة.

---

[1]-محمد حسّان الطيّان: المفاخرات والمناظرات، ص96.

[2]- المصدر نفسه، ص104.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، لبنان، 2004 ص498.

[4]- صابر الخباشة: التداولية والحجاج، ص51.

**أ-الطباق:**

يعتبر الطباق من المحسنات البديعية التي اعتمدها الكاتب في "مناظرته بين الأرض والسماء"، إذ يعرف على أنه"الجمع بين الشيء وضده في الكلام وضربان طباق الإيجاب وطباق السلب"[1].

ومن أمثلة الطباق في المناظرة نجد:

" وربما انتظمت الطاعة في سلك المعاصي والمعصية في سلك الطاعات، فانه لا عبرة بصور الأعمال و"إنما الأعمال بالنبات" وقد تبذّل السيئة حسنة بالتوبة والاستغفار وتنقلب الحسنة سيئة بالعزّة والاستكبار"[2].

ففي هذا المثال جاء الطباق على شكل ثنائيات وكل ثنائية نعتبرها حجة من أجل إقناع المتلقي بأن كل الطاعات والحسنات والمعاصي والسيئات ليست بالأعمال وإنما بالنيات، وقد تتبدل الحسنة سيئة بالعزة والاستكبار، وتنقلب السيئة حسنة بالتوبة والاستغفار.

*"ولو تفكرت أن خادم القوم هو السيد والمولى، لعرفت الفاضل من المفضول، أو تدبرت أن اليد العليا خير من اليد السفلى"[3].

بنيت هذه الفقرة على شكل ثنائيات، وهذه الثنائيات جاءت على شكل المزاوجة بين الأضداد، وهذا ما يسمى بالطباق، فهنا لجأ إليها "المتكلم" من أجل تدعيم الطرح، ويمكن أن نعتبر كل ثنائية بمثابة حجة من أجل إقناع المستمع بأن خادم قومه هو سيدهم ومولاهم فالثنائيات أسهل على العقل في تقبل الأضداد.

ويعود سبب توظيف المؤلف للطباق في المناظرة لأنه متعلق بالأدلة العقلية واستخدامه كحجة لإقناع المتلقي.

---

[1]- نقلا عن آسيا جميات: للامية ابن رشيق القيرواني، في رثاء القيروان، دراسة أسلوبية، مذكرة تخرج ماستر 2، معهد الأدب واللغات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، 2014، 2015.

[2]محمد حسّان الطيّان: المفاخرات والمناظرات ، ص90.

[3]- المصدر نفسه، ص97.

**ب_ المقابلة:**

إنمن طر ق الحجاج ما يعرف بالمقابلة، فإذا قابلنا بين شيئين بغية معرفة أيهما أقدر على التأثير في الآخر إذا تعلق الأمر باحتياج أحدهما الآخر.

ومن أمثلة ذلك في المناظرة نجد:

قالا تشمّ تي بنا الأعداء، وتسيء الأحبّاء والأودّاء"[1].

ففي هذا المثال أقيمت مقابلة بين الأعداء والأحباء، وذلك من خلال طلب الأرض من السماء الكف عن الشجار، وا إقامة الصلاح بينهما، لتجنب شتم الأعداء فيهم.

لجأ المؤلف إلى اعتماد المحسنات البديعية لأجل تقوية أسلوب كل واحدة من المتناظران (الأرض والسماء).

ونقول من خلال تحليلنا لبعض النماذج أن البلاغة لا تعتمد فقط على طابعها الجمالي، وهذا ما يضنه الكثيرون بل لها وظيفة حجاجية اقناعية لها تأثير قوي في المتلقي لأن اللبس والمجاز في الكلام من أقوى المظاهر الحجاجية والنماذج التي حللناها اختلفت وتباينت من نموذج إلى آخر وذلك حسب الآلية البلاغية المستخدمة.

فمحمد بن المبارك لجأ إلي هذه الآلية التي تتضمن الصور البيانية، والاستفهام والأمر والنهي، والتهديد، والمحسنات البديعية كالطباق والمقابلة وهذا لتبيان التفوق، والتأثير في المتلقي، لأن هذه الآلية كما أسلفنا الذكر من الآليات الحجاجية القوية.

فمحمد مبارك أثقل النص بكثير من الزخرفة ليعطي كل واحدة من المتناظران بلاغة القدرة على الفصاحة وتقوية أسلوب كل واحدة من المتناظرة.

[1] محمد حسآن الطيّ ان: المفاخرات والمناظرات، ص106.

## المبحث الثاني: الأساليب اللغوية

تعتمد العملية الاقناعية على أدوات ووسائل يقدمها الخطيب أثناء طرح خطابه من أجل إكسابه طاقة حجاجية، وتعتبر هذه الأدوات"بمثابة قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب الخطاب السياق"[1] وبالتالي يصل إلى غرضه المنشود وهذه الأدوات هي:

### 1-الروابط الحجاجية:

الروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها.

ومدونة "غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء" توجد فيه مجموعة من الروابط وسوف نحاول أن نقتصر على البعض منها.

ويمكن أن ندرس هذه الروابط الحجاجية بهذا الشكل: الروابط المدرجة للحجج والروابط المدرجة للنتائج وروابط التعارض الحجاجي وروابط التساوق الحجاجي.

#### 1-1الروابط المدرجة للحجج:

##### أ-الرابط "حتى":

يقول كل من "ديكروا" و"أنسكوبير" في شأن الرابط الحجاجي" إن الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فان القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"[2].

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص477.

[2]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص73.

ولنأخذ المثال التالي:

*" وهل اختصك الله بالذكر؟! أو أقسم بك دوني في الذكر؟! أو آثرك بالتقديم، في جميع كلامه القديم، حتى تردّيت بالكبرياء، وتعدّيت طور الحياء؟!"[1].

-فالرابط الحجاجي هنا ربط مجموعة من الحجج المنافية للنتيجة

الحجج النتيجة

ح1-وهل اختصك الله بالذكر.

ح2- أو أقسم بك دوني في الذكر. ←تردّيت بالكبرياء، وتعدّيت طور الحياء.

ح3- أو آثرك بالتقديم، في جميع كلامه القديم.

"حتى" تفيد بلوغ الغاية والربط بين المقدمات والنتائج انتفاء النتيجة بانتفاء الحجج أي أنه يقتضي انتفائه ضمنيا؛ فكأن الإجابة المفترضة لكل واحدة من هذه الإجابة هي إجابة بالنفي، بمعنى: (لم يختصك الله بالذكر ) أو (هل اختصك الله بالذكر)، فالإجابة المفترضة لا لأن الاستفهام الذي اندرجت فيه هذه الحجج إنكاري.

**ب- "لأن":**

يعتبر الرابط "لأن" من أهم ألفاظ التعليل، ويستعمل لتبرير الفعل، ويفيد التصديق.

المثال التالي:

"فألفيت هذا العالم هو مركز دائرة السيادة، لأنه اجتمع فيه ما العالم العلوي وزيادة"[2].

-النتيجة: فألفيت هذا العالم هو مركز دائرة السيادة.

-الرابط الحجاجي: لأن

-الحجة: اجتمع فيه ما العالم العلوي وزيادة.

---

[1] محمد حسّان الطيّان: المفاخرات والمناظرات، ص89.

[2] - المصدر نفسه، ص86

فالرابط الحجاجي:لأن: ربط بين النتيجة والحجة، فالرابط هنا جاء بعد إلقاء النتيجة وجاءت الحجة بعده لتعلل النتيجة المطروحة.

### 1-2روابط التعارض الحجاجي:

جاءت "لكن" و "بل"عند النحويين لنفي كلام واثبات غيره، يقول الرماني:"تقع لكن بين كلامين لما فيها من نفي واثبات لغيره فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وايجابا يستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي"[1]. ويقول في شأن "بل" "وهي من الحروف الهوامل ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني"[2].

**أ-"لكن":**

"وهل ينبغي أن يجر بعضنا على بعض ذيل الكبر والصدَّلف، بعدما كنا عليه من حسن الود والكلف؟! ولكن عفا الله عما سلف.

ففي هذا المثال نجد"لكن" تربط كذلك بين حجتين، فالحجة الأولى والتي جاءت قبل "لكن"( وهل ينبغي أن يجر بعضنا)، تخدم نتيجة ضمنية من قبيل(أن الأرض تطلب التصالح والتسامح من السماء)، أما الحجة الثانية والتي جاءت بعد "لكن" "عفا الله عما سلف"، فهي تخدم نتيجة ضمنية معارضة للنتيجة الأولى التي جاءت قبل الرابط الحجاجي"لكن" وهذه النتيجة من قبل (أن الأرض ترى بأن كل ما دار بينها وبين السماء قد نسي وأن الله عفا عما سلف).

فهاهنا الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى ومعارضة لها، قد تكون النتيجة المضادة هي النتيجة التي يؤول إليها الكلام برمته.

---

[1]- الرماني(أبو الحسين بن عيسى): معاني الحروف، تحقيق: عرفات بن سليم العشاحسونة، المكتبة العصرية، ط1 بيروت، 2005، ص196.

[2]- المرجع نفسه، ص71.

**ج- "بل":**

ونأخذ المثال التالي:

" على أنني لا أريد منك جزاء ولا شكورا، بل عاملت ربي فكان سعيي لديه مشكورا"[1].

إن الرابط الحجاجي "بل" يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين، الحجة الأولى والتي ترد قبل الرابط (على أنني لا أريد منك جزاءا ولا شكورا) والتي تحمل نتيجة ضمنية من قبيل" أن السماء لا تريد شكرا ولا جزاءا على الخدمات التي تقدمها للأرض"، أما الحجة الثانية وهي ترد بعد الرابط الحجاجي"بل" ألا وهي (عاملت ربي فكان سعيي لديه مشكورا) وتحمل نتيجة ضمنية من قبيل "أن السماء قدمت الخدمات للأرض لوجه الله، وأن الله هو الذي سيجازيها على ذلك".

فالحجة التي تأتي بعد الرابط "بل" تكون أقوى من الحجة التي ترد بعده.

من خلال تحليلنا للرابطين الحجاجيين"لكن"، و "بل" بين حجتين متعارضتين، وأنهما يقيمان علاقة حجاجية بين الحجة والحجة أو بين الحجة والنتيجة تكون الحجة التي ترد قبل الرابط تحمل نتيجة ضمنه، كما يفيدان الاضراب كما سبق، وفائدتهما التجاوز أما الغاية الحجاجية فهي التفضل.

**1-3روابط التساوق الحجاجي:**

**أ-"الواو":**

ويستعمل "الواو" حجاجيا وذلك بترتيب للحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوى كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الرابط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي[2].

---

[1] محمد حسّان الطيّان: المفاخرات والمناظرات، ص96.

[2]- الحواس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد12، د ط، 1997، ص334.

ولنأخذ المثال التالي:

*"فأنى تفوزين بأشرف الأقدار، وأنت موضع الفضلات والأقذار؟ وما هذا التطاول والإقدام، ووجهك موطئ النعال والأقدام؟!"[1].

فالحجج في هذا القول جاءت متسقة وغير منفصلة وكذلك كل حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى وذلك بفضل الرابط الحجاجي "الواو.

ح1- أنت موضع الفضلات والأقذار

ن- فأنى تفوزين بأشرف الأقدار.

ح2- ووجهك موطئ النعال والأقدام

ن- وما هذا التطاول والإقدام.

لا يعنينا هنا رابط الحال لأنه من الروابط المدرجة للحجج بل يعنينا واو العطف لأنه يقوم بوصل الحجج وترتيبها لتقوية الضمنية هي أن السماء أرفع قدرا وأفضل من الأرض.

## معاني الصيغ الصرفية:

### أ-الصفة المشبهة:

وهي "كل صفة اشتقت منها غير اسمي الفاعل والمفعول به على أية هيئة كانت بعد أن تجري عليها التثنية والجمع والتأنيث"[2].

مثل ذلك:

*"وهل يحق للكثيف،أن يتغالى على اللطيف"[3].

[1] محمد حسّان الطّيان: المفاخرات والمناظرات، ص91

[2]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص50.

[3] محمد حسّان الطيّان: المفاخرات والمناظرات، ص

*"فمن أعظم ما فقت به حسنا وجمالا"[1].

*"خادم القوم هو السيّد والمولى"[2].

*"وجه وسيم، وأنفاسه نسيم"[3].

*"ومن قلّة عدلك واتصافك"[4].

ويكمن دور الصفة المشبهة حجاجيا بكونها أوصافا استخدمها الكاتب في مدونته في سبيل تلبس الصفة بصاحبها، فالسيد دائم السيادة والوسيم دائم الوسامة.

**ب-اسم الفاعل:**

يعد اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتبنى عليه النتيجة التي يرومها، إذ يعرف على أنه " ما استف من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث"[5].

ونجد اسم الفاعل في المدونة كما يلي:

"خادم، الشامخ، الباذخ، عاقل، غافل".

وكل هذه تعتبر صفات وصفها محمد بن المبارك في مناظرته من أجل أقناع جمهوره لما تحمله هذه الصفات من دلالات، ويدل على تلبس الفاعل بفعله ويدل على التعالي.

**ج-اسم المفعول:**

ويصف على أنه من الأوصاف الحجاجية المستعملة وهو" ما اشتق من فعل لما وقع عليه"[6].

---

[1]- المصدر نفسه، ص95.

[2]- المصدرنفسه، ص97.

[3]- المصدر نفسه، ص100.

[4]- المصدر نفسه، 97.

[5]- يوسف حسن عمر: شرح الرضى على الكافية، ص413.

[6]- يوسف حسن عمر الرضا على الكافية: منشورات جامعة قازيونس، ط2، بنغازيا، 1996، ص427.

نجد ذلك في مدونتنا على النحو التالي:

"مفضول، مشكور، مذكور، محبوك، مسبوك، منثور..." [1] .

يدل على التخفض على من وقع عليه الفعل.

**3-تقنية التكرار:**

يعد التكرار من بين الآليات اللغوية التي بصدد التعرض له في المدونة وهو من الأساليب المهمة إذ أنه أسلوب شائع في المناظرات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها ولكنه لا يدرس ضمن الحجج والبراهين وا ٍنما يعد رافدا أساسيا يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى أن التكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جميلا في المتلقي وتساعد على نحو فعال في إقناعه أو حمله على الإدعان[2]، فالتكرار يساعد على التبليغ والإفهامويعين المتكلم على ترسيخ الرأي أو فكرة في الأذهان، ومن فوائده أيضا: التقرير.

ومن أمثلة ذلك في المناظرة نجد:

*وجاءت لفظة "المعاصي" أكثر من موضع وذلك عندمار دت الأرض على السماء عندما اتهمت أهلها بالمعاصي والذنوب." وكيف تزدرين أهلي بالذنوب والمعاصي".

*" انتظمت الطاعة في سلك المعاصي والمعصية في سلك الطاعات"[3].

فتكرار لفظة(المعاصي) أكثر من مرة فهي عبارة عن حجج رافدا أساسيا يرفض هذه الحجج أو البراهين، وهي تأكيد للقضية التي طرحها وهي أن الله هو الذي يحاسب عباده، وقد تتبدل المعصية حسنة والعكس.

وخلاصة ذلك أن للتكرار فائدة تداولية تتمثل في الاهتمام بالمتلقي، الذي هو لب العملية التواصلية من أجل تأكيد أمر أو تعظيمه.

---

[1] محمد حسّان الطيّ ان: المفاخرات والمناظرات، ص 91-95.

[2] – سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص168.

[3] محمد حسّ ان الطيّ ان: المفاخرات والمناظرات، ص90.

من خلال تحليلنا للمبحث، الذي هو محطة أخرى حاورنا فيها المدونة بغية الكشف عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية التي تضمنها هذه المدونة، ورأينا أن "محمد بن المبارك"مثل هذه الآليات كالروابط ومعاني الصيغ الصرفية وتقنية التكرار. ورأينا أنه لم يعمد فقط إلى إخبار المتلقي وتقديم المعلومات، بل استعان بها للتأثير والإقناع.

## المبحث الثالث: الأساليب المنطقية:

### 1/السلم الحجاجي:

السلم الحجاجي – كما رأينا سابقا– يقوم على ترتيب الحجج عموديا، من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، في فئة حجاجية واحدة،وا ٍن كل قول كان في السلم الحجاجي دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلااقو ى منه.

ولأخذ المثال التالي: من خلال المناظرة التي تقول فيها الأرض:

"قد ساغ لي أن أشنّ ف الأسماع، بما شاع من آثري وذاع. فمن أعظم ما فقت به حسنا وجمالا، وكدت بأخمصي أطأ الثرايا فضلا وكمالا: تكوين الله منيوجود سيّ د الوجود فأفرغ علي به خلع المكارم والجود. فهو بدر الكمال، وشمس الجمال. وما أحسن...فأكرم من نبيّ أسرني به وأرضى، كيف لا ولاه ما خلق سماء ولا أرضا؟ وجعلني له مسجدا وطهورا أقرّ به عيني بطونا وظهورا... فهفي الحقيقة مني ولي لّ "[1].

فمن هذا المثال نجد أن الأرض وقد ردت على السماء بذكر أجود خصالها ومعالم كمالها، فوردت حجج في هذا السياق لإقناع السماء برفيع قدرها، وقد وردت حججا حسب ترتيبا عموديا.

مكانة الأرض(الأرض أرفع من السماء) — النتيجة

وجعلني له مسجدا وطهورا

تكوين الله مني وجود سيد الوجود

وقد ساغ لي أن أشنّ ف الأسماع

وفي الأخير بعد أن قمنا بتحليل السلم الحجاجي لمناظرة محمد بن المبارك الدمشقي المدروسة نستنتج انه يبرز الخصائص الحجاج التي تبنى على ترتيب معين حيث ينتقل فيها من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية ، من أجل إقناع المتلقي.

[1] محمد حسّ ان البطّ ان: المفاخرات والمناظرات، ص 95.

نقول في الأخير أن السماء أرفع قدرا من الأرض و هي التي فازت ونمثل ذلك في السلم الحجاجي التالي:

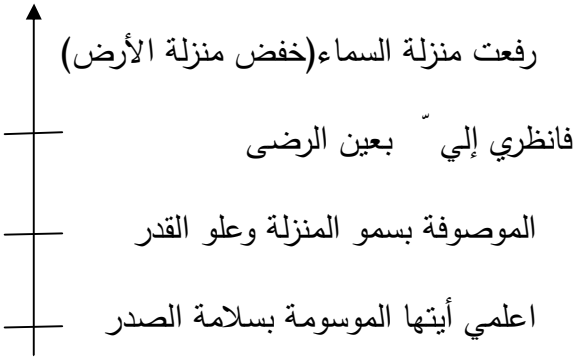


فقد بدأت بالحجة الضعيفة" اعلمي أيتها الموسومة بسلامة الصدر" وانتقلت إلى أن وصلت إلى الحجة الأقوى" فانظري إلي بعين الرضى " وكل هذه الحجج تقدم نتيجة ضمنية مفادها تدلل الأرض وعلو منزلة السماء.

**2- الشاهد والمثل:**

يعد الشاهد والمثل من الحجج القوية والحجج الجاهزة التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه وأغراضه الحجاجية.

وقد اعتمد محمد بن مبار ك هذا النوع من الحجج باعتبارها يحملان قوة حجاجية عالية يستطيع من خلالها إقناع المتلقي.

**أ-الشاهد:**

الشاهد عند " اريسطو" هو بمثابة القوانين والشواهد، والاعترافات وأقوال الحكماء أما في الخطبة العربية تضمين الآيات القر آنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"[1].

وقد حفلت مدونتنا بمجموعة كبيرة من الشواهد، وتنوعت واختلفت، وذلك حسب ما جرى في المناظرة بين الأرض والسماء وما تقتضيه من شواهد، من بينها الآيات القرآنية والحديث النبوي والشعر.

[1] - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 65.

## *الشواهد من الآيات القرآنية:

*قال: ولشرف السّماء يقول الله تعالى: "جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا[1]"، "إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ "[2].

فالكاتب استدل بهذه الآيات القرآنية لأنهما أقوى حجة وأفضل دليل لإقناع المتلقي لأن المتلقي لا يستطيع أن يشك في كلام المولى عزوجل لأن ما يقوله هو الصحيح وهو الحق وهذا الحق، وهذا حتى يصل الكاتب إلى مبتغاه ومراميه الحجاجية وهو علو شأن السماء وأفضليتها على الأرض.

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا "[3]، فقد استدل الكاتب بهذه الآية القرآنية لأنها اقوى حجة وأفضل دليل لمخاطبة السماء للأرض بان ليس كل ما يزين لها سوء عملها يكون حسنا.

## *الشواهد من الحديث الشريف:

*قالت الأرض: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنما الأعمال بالنيات"[4]، وهو قول استدلت به الأرض لتثبت بأن الإنسان لا يحاسب على عمله، بل يحاسب على نيته في القيام بهذه الأعمال، فتكون نيته هي التي تقرر مصيره، سواء بدخول الجنة أو النار.

*قالت الأرض قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[5] ساقت الأرض هذا الحديث النبوي ردا على السماء بان لها فضلا كبيرا وان العبد يكون قريبا من الله عندما ويسجد ويضع رأسه على الأرض .

---

[1] -آية الفرقان: 61

[2] -آية الصافات:6.

[3] -سورة فاطر: ص 8.

[4] محمد حسّان الطّان: المفاخرات والمناظرات، ص 90.

[5] -المصدر نفسه، ص 100.

وفي قول السماء أيضا: قال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام:" شبيه الشيء منجذب إليه"[1]، فقد استشهدت بهذا الحديث النبوي كحجة قوية لتقنع الأرض بان لها محاسن كثيرة اشتملت عليها، وأن لها الفضل في قبول أعمالها التي تفتح لها باب القبول.

***الشواهد من الشعر:**

نجد في المناظرة التي دارت بين" السماء" و" الأرض" حيث استشهدت الأرض ببيت شعري لتدعم رأيها فقالت:

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه وبحمد منه الصبر فيما يصبه

فمن عز فيما يتقيه اصطباره فقد قل مما يرتجيه نصيبه[2]

وهي أبيات مقتبسة من مقامة الحريري الذي يقول فيها:

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يتقيه اصطباره فقد قل مما يرتجيه نصيبه.

فقد أوردت الأرض هذه الأبيات لتستشهد بها وتقنع السماء بان كل من تحمل الأذى وصبر يأتيه الفرج ويعوض الله كل فائت.

كما يقول المتنبي:

وا ٍذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وأوردت السماء هذا البيت لتستشهد به وتثبت للأرض بأنها كاملة ومنزهة من كل نقص وعيب، وبأن كل العيوب والنقائص التي أشارت بها هي بالنسبة لها كمال وافتخار.

[1] محمد حسّ ان الطّ ان: المفاخرات والمناظرات ، ص 100.

[2] – المصدر نفسه، ص94.

**ب-المثال:**

المثل في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق، فالمثل استقراء بلاغي والمثل " حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما، ويراد استنتاج نهاية أحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"[1].

كما انتبه الدارسون والبلاغيون العرب إلى أهمية المثل في إحدى الإقناع، وأما الأمثال فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبنون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلبا،ولقولهتعالى:" ر َ ب ْ ذ َ ا ل ِلنَّاس ِ ي ه َذَا الْقُر ْآَن ِ م ِن ْ كُلِّ م َ ثَلٍ [2] "وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته بالأمثال والقصص"[3].

والمثال في المناظرة دعامة كبرى من دعائم المناظرة لما يحققه من إقناع وتأثير فقد يجعل المتلقي ينتقل من شيء مجهول إلى شيء معلوم وتتضح الرؤية.

ويقدم محمد بن المبارك بعض الأمثلة:

فيقول:" ليس من العدل سرعة العدل" وهو مثال يضرب لمن يتسرعون في الملامة.

وقدمت السماء هذا المثل التي قالته العرب، لترد على الأرض التي تسارعت في لومها والحكم عليها.

*"فلأمر ما جذع قصير أنفه" وهو مثال يضرب لمن يضمر شيئا يدل عليه فعله قدمت السماء هذا المثل التي قالته العرب، لتخبر الأرض بان أي شيء ستخفيه ، فإنه سيظهر عليها من خلال أفعالها.

[1] – محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص 68.

[2] –سورة الروم، الآية 58.

[3] –المرجع نفسه، ص 70.

*نجد قول الأرض:" ما كل بيضاء شحمة، ولا كل حمراء لحمة"[1] وهو مثال مقتبس من الأمثال العربية قيما يروى" ما كل سوداء ثمرة ولا كل بيضاء شحمة"[2] وهذا المثال استدلت به الأرض للرد على السماء بان ما كل شيء تراه العين حقيقة.

في الأخير نستنتج بأن محمد بن المبارك لجأ إلى الشاهد والمثل لأنهما من الحجج القوية من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه.

### 3-الحجاج بالسلطة:

لقد سبق وأن تحدثنا عن الحجاج بالسلطة في الفصل النظري والذي يعني اعتماد التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي.

*ومن أمثلة الحجاج بالسلطة في مدونتنا نجد:

*"وا ن عادت العقرب الغادرة، فإن النعال لها حاضرة"[3] فالحجة في هذا المثال" وان عادت العقرب الغادرة" نتيجتها جاءت في شكل تهديد مباشر من السماء للأرض"فإن النعال لها حاضرة ".

فالحجة في هذا المثال"وإن عادت العقرب الغادرة" نتيجتها جاءت في شكل تهديد مباشر من السماء للأرض" فإن النعال لها حاضرة".

*"فالزمي معي حسن الأدب"[4].

ففي هذا المثال جاءت الحجة" فالزمي معي حسن الأدب" وقد جاءت نتيجتها في شكل الإستمالة وطلب الإقرار والإذعان.

*" يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه"[5].

---

[1] محمد حسّان الطّان: المفاخرات والمناظرات، ص 93.

[2] -مجمع الأمثال 281/2، وجمهرة الأمثال( 287/2).

[3] محمد حسّان الطّان: المفاخرات والمناظرات، ص 92.

[4] – المصدر نفسه، ص92.

[5] -المصدر نفسه، ص94.

فالحجة " يا دنيا من خذلني فأخذيه" نتيجتها جاءت في شكل تهديد وترهيب من الأرض إلى السماء" ومن خدمك فاستخدميه".

### 4-تطويع الأدلة (الحجج):

تتأسس المناظرة الأدبية أساسا على طرحين مختلفين إلى حدّ التقابل في بعض الأحيان، ويسعى المتناظران كل من جانبه إلا قرار طرح يتبناه ويدافع عنه ، ودحض أطروحة يرفضها ويحتج على بيان تهافتها، وبذلك فالموقف التواصلي يقتضي نفي رأي واثبات آخر والملاحظ في هذه المناظرة انصراف كل من الأرض والسماء إلى إثبات الأفضلية ورفعت القدر ونفي جدارة الأخرى بها[1].

ونجد في المناظرة أن السماء أسست أطروحتها على أدلة ترفع شأنها وتجلي مقامها فوق خصمها الأرض وذلك في قولها:

*"ومنح أشرف الخلق إلي عروجا وقدمني في الذكر، في محكم الذكر وشرفني بحسن القسم، وأتحفني بأوفر القسم وقدسني من النقائص والعيوب ، وأطلعني على الغوامض والغيوب فأنا المنزهة عن كل دنس ووصمه..."[2].

إلىأن الأرض ردت عليها وقامت بقلب وا إبدال الحجة ضدها، وذلك في قولها"...وهل اختصك الله بالذكر؟! أو آثرك بالتقديم في جميع كلامه القديم حتى ترديت بالكبرياء، وتعديت طور الحياء؟![3]، وقد أتت الأرض بحجة جديدة لتعجيز السماء حيث نجدها تقول:

*"...وهم البررة الأعلام من جعله في وجود خليفته، ومحل نظره من خليفته ثم أطلعهم به على حقائق أسمائه، ففهموا سره في عالم أرضه وسمائه وأمرهم له بالسجود،

[1]- أنور الجمعاوي:استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية؛ مناظرة التنافس إلى الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د ط، 2013، ص 42/41.

[2] محمد حسّان الطّان: المفاخرات والمناظرات، ص88.

[3] - المصدر نفسه، ص 89.

إعلانا بعموم خلافته في الوجود، فمني الأستاذ والمعلم، ومنك التلميذ والمتعلم وأنا مركز الإمام وأنت مركز المأموم، وما منا إلا له مقام معلوم"[1].

وقد ردت عليها السماء بقولها"...وهل خلت أن التحدث بالنعم مما يلام عليه مع أنه أمر ٌ مندوب إليه"[2]، وقد أقامت السماء حجة ضد الأرض في قولها:" فأنى تفوزين بأشرف الأقدار، وأنت موضع الفضلات والأقدار؟ وبما هذا التطاول والإقدام، ووجهك موطئ النعال والأقدام؟!"[3].

وخلاصة ذلك أن تطويع الأدلة الحجج بين الأرض والسماء، هي تبادلية الأدوار بينهما، ومحاولةكل واحد منهما تأكيدا رأيها، ودحض رأي خصمها.

فهذا الفصل الذي قمنا بتحليله، هو محطة حورنا فيه المدونة بغية الكشف عن الآليات البلاغية كالاستعارة الحجاجية والإستفهام والنهي والأمر والتهديد وبعض الآليات اللغوية الحجاجية التي تضمنتها المدونة كالروابط الحجاجية ومعاني الصيغ الصرفية وتقنية التكرار، ونجد كذلك الآليات المنطقية كالسلم الحجاجي والشاهد والمثل والحجاج بالسلطة وتطويع الأدلة.

وقد كان هدف الكاتب من خلال الآليات هو تبيان أن كل من المتناظران بليغ فصيح يريد إثبات أفضلتيه على آخر، وكذلك يريد أن يصل إلى مقاصده الحجاجية التي اعتمد عليها بغية الوصول إلى الوجهة الحجاجية التي يريدها.

[1] محمد حسّ ان الطّ ان: المفاخرات والمناظرات ، ص 90.

[2] – المصدر نفسه، ص 91.

[3] – المصدر نفسه، ص 91.

# خـــــاتمـــــة

منحتنا هذه الجولة القصيرة بعنوان البناء الحجاجي" غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء" جملة من النتائج نعرضها في ما يلي:

-المناظرة فن أصيل يحمل بين طياته محاورة رائقة ومنافسة رقيقة وهي الميدان الأمثل لإقناع واستمالة المتلقي.

-تعدد الآليات الحجاجية المستخدمة بين ما هو بلاغي والمتمثل في الاستعارة الحجاجية لأنها تمثل أقوى الحجج بالإضافة إلى الجانب الجمالي التي تضفيه على النص.

-اعتماد الأساليب الإنشائية كالاستفهام والأمر والنهي والتهديد لكونها توجه قولا حجاجيا.

-استخدام البديع(المقابلة، الطباق) مما له من أثر في عملية إقناع المتلقي.

-توظيف الأساليب اللغوية المتضمنة الروابط الحجاجية والتكرار واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة بدلالات مختلفة من أجل الإفهام ولفت الانتباه.

-استعمال الأساليب المنطقية والمتمثلة في السلم الحجاجي من أجل التوجيه والتدرج في الحجج من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية من أجل التأثير في المتلقي.

-الاعتماد على الشاهد من القرآن والحديث للإقناع لأنهما من الحجج القوية التي لا تقبل الطعن بما فيها من ميزة أنها تكسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها.

-المقدرة الإبداعية لدى الأديب الجزائري محمد بن المبارك رغم وسم العصر الذي عاش فيه في عصر الانحطاط.

وفي الأخير نرى إمكانية انفتاح توسيع البحث لدراسة منجزات هذا الأديب الذي يحظى بالاهتمام الذي يستحقه.

# المصادر والمراجع

## القرآن الكريم

## قائمة المصادر:

1. محمد حسان الطيان: المفاخرات والمناظرات، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1421هـ، 2000م.

## قائمة المراجع:

1. أميمة صبحي: حجاجية الخطاب؛ في إبداعات التوحيدي، داكانوا المعرفة للنشر والتوزيع، وسط البلدن مجمع الفحيص التجاري، ط1، عمان، 2015م، 1436 هـ .
2. أنور الجمعاوي: استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية؛ مناظرة التنافس إلى الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، د ط، 2013.
3. أبو بكر الزبدي: طبقات النحويين واللغوين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، مصر، 1984م.
4. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، درب سيدنا، ط1، الدار البيضاء، 1426هـ 2006.
5. حافظ إسماعيل علوي: الحجاج؛ مفهومه ومجالاته، ج2، عالم الكتب الحديث ط1 أربد، الأردن، 2010.
6. أبو حامد الغزلي: أحياء علوم الدين؛ ومعه المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار لزين الدين العراقي، دار أبي حزم للنشر والتوزيع، ط1 بيروت، لبنان، 2005.
7. أبو الحسين أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون المجلد الخامس، دار الجيل، ط1، بيروت، 1991م.
8. الرماني(أبو الحسين بن عيسى): معاني الحروف، تحقيق: عرفات بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، ط1 بيروت، 2005.

9. حمادى صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم المجلد،x ،x xx، كلية الآداب منوبة، د ط، تونس.
10. حمو النقاري: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ط1، الرباط.
11. حمو النقاري: منطق الكلام الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2005.
12. راضي رشيد: الحجاجيات اللسانية عند انسكوبرود ديكورو، المجلد 1، عالم الفكر د ط، 2005.
13. رشيد الرضي: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الثاني الحجاج مدارس وأعلام ، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد الأردن، 1431، 2010 .
14. الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، دار التراث، د ط، القاهرة.
15. سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي؛ النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1 عمان، الأردن ، 2011.
16. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة؛ بنيته وأساليبه، عالم الكتب،ط1، الأردن.
17. سيوطي: معترك الاقران 431/2 نقلا عن مختار عطية: دلالات في القرآن دراسة بلاغية، دار الوفاء، د ط، مصر.
18. شوقي مصطفى: المجاز والحجاج في الدرس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، ط1، دار البيضاء، 2005.
19. صابر الخباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر ط1، دمشق، 2008.
20. طاش الكبرى زادة: شرح آداب البحث ، مجلة (المناظرة)، السنة الثانية، العدد الثالث، يونيو، 1990م.

21. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي المركز الثقافي، ط2، الدار البيضاء، 2006.
22. عبد الجليل العشراوي: الحجاج؛ في الخطابة النبوية ، عالم الكتاب الحديث، ط1 الأردن، 2012.
23. عبد الرحمن حنبكة الميداني : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، (صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي)، دار القلم، ط4 دمشق، 1414هـ، 1993م.
24. عبد الرحمن طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط02، 2000.
25. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001.
26. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المدني، ط3، السعودية، 1992.
27. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، بيروت لبنان، 1434هـ، 2003م.
28. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن: من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، ط2، بيروت، 2007.
29. عبد الله صولة: في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، الناشر: مسكيلياني للنشر والتوزيع،41 شارع ايران لافانات، ط1، تونس، 2012.
30. عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2004.
31. عبد بن عيسى: لبيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم؛ سورة الأنبياء نموذجا مجلة التراث العربي، د ط، 2006.
32. أبو عثمان الجاحظ: الحيوان، ج2، تح، عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، القاهرة، مصر، 1965.
33. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق: إيمان الشيخ محمد وعريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، ط1، 2012.

34. على جريشة: أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 المنصورة، 1410هـ، 1989م.
35. علي ّ الشّ عبان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل؛ في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة بحث في الأشكال والإستراتيجيات.
36. غازي طليمات، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي؛ قضاياه، أغراضه، أعلامه فنونه دار الفكر، ط1، دمشق، 2002.
37. فيروز أبادي: القاموس المحيط، فصل الحاء باب الجيم، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، القاهرة، 1980.
38. قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، اربد، 2012.
39. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، نقلا عن عبد الله صولة: الحاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الظرابي، ط2، بيروت، 2007.
40. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي؛ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1986م.
41. محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الثالث منشورات دار مكتبة الحياة ، ط1، بيروت، 1301هـ.
42. محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي، في أثار لسان الدين ابن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية، دار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد2 ط1، 2009.
43. مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم) علم الكتب الحديث، ط1، تونس، 2009.
44. مصطفى البغدادي: الواضح في علم المناظرة، شرح وتوضيح على متن طاش كبرى زاده، د ط.
45. ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر ، ط3، بيروت 1994م.
46. مهدي المخزومي: في النحو العربي؛ نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت لبنان، 1424-2003.

47يوسف حسن عمر الرضا: على الكافية، منشورات جامعة قازيونس، ط2، بنغازيا 1996.

48. سكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد): مفتاح العلوم، تج: نعيم زرزور دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1407 هـ.

**الدوريات:**

1. الحواس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد12، د ط، 1997.
2. وشن دلال: تداولية الاستعارة الحجاجية للنص الرثاء مرثية متمم بن نورية مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، جامعة بسكرة.

**الرسائل الجامعية**

1. آسيا جميات: للامية ابن رشيق القيرواني، في رثاء القيروان، دراسة أسلوبية مذكرة تخرج ماستر 2، معهد الأدب واللغات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، 2014، 2015.

# الملاحق

# غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُ بديعَ السمواتِ والأرض، حمدَ مَنْ تقرَّبَ إليهِ بالنفل والفرض. وأصلي على مَنْ شرَّفَ اللَّهُ قدْره وأعلى مقامَهْ، وآثَرَه على الورى بأسمى مكانةٍ وأعلى مقامة. وعلى آله الذين وشت بأسرارهم ألسنة البراعةِ، فوشَّت بتلك الظرائفِ واللطائف طِرازَ البلاغة والبراعة.

**وبعد:**

فهذه محاضرةٌ فائقة، ومحاورة رائقة. ومناقشة دقيقة، ومنافسة رقيقة. ذات نثر كفرائد الجُمان، ونظم كقلائد العقيان. أنشأتها لمن دام ودأب، على الاستمداد من خزانة الأدب. وسميتها بـ «**غريب الأنباء، في مناظرة الأرض والسماء**»[1]، فوافق اسمُها تاريخَ تأليفها المصون، وفاق مسمّاها عقود اللؤلؤ المكنون.

وذلك أنه جرت بين الأرض والسماء، مساجلة أرق من الهواء، وأدق من الهباء. فسبكتُ تلك المعاني، في قوالب المباني، ثم وشَّحْتُها بما راق لطفًا وانسجاما، ورشَّحْتُها لما غدا لراح الأنس جاما:

[من البسيط]

مِنْ كُلِّ معنىً يكادُ المَيْتُ يَفْهَمَهُ حِسًّا ويَعْشَقُه القِرْطاسُ والقَلَمُ

---

(١) طُبعت هذه المفاخرة في المطبعة الحفنية بدمشق سنة ١٣٠٢هـ.

وجعلتُها آيةً للألبّاء وذكرا، وإن من البيان لسحرا.

* * *

وكانت السماء هي الفاتحة لباب المجادلة، والمتصدّية لإثارة نقع[1] ناظرة والمناضلة. فجالت في ذلك المضمار وصالت، ونوّهت برفيع ها وقالت:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ [الفرقان: ٦١]، ومنح أشرفَ لق إليَّ عروجًا. وقدَّمني في الذكر، في محكم الذكر. وشرفني بحسن سَم، وأتحفني بأوفر القِسَم. وقدّسني من النقائص والعيوب، وأطلعني ى الغوامض والغيوب. فأنا المنزهة عن كل دَنَسٍ ووصمةْ، وجندي هم فلون في حِلَل الحفظ والعِصمةْ. وبقاعي لم يُعصَ الله عليها، ولم ب سيئة مدى الدهر إليها. فلا يدخل حرمي شيطان، وليس له على ي سلطان. وإن استَرَقَ السمع مني، ليروي بعض الأخبار عني؛ قذفَتْهُ هابٍ ثاقب، وألقيتُهُ في عذابٍ واصب.

وقد ورد أن الربّ ينزل إليَّ كلَّ ليلة، فيولي من تعرَّض لنفحاته بره لَه. فيا لها من تحفة جليلة، ومنحة جزيلة. يحقُّ لي أن أجرَّ بها ذيول زَّة والافتخار، وكيف لا والوجود بأسره باسطٌ إليّ أيدي الذلة لافتقار؟. فلي العزُّ الباذخ، والمجد الأثيل الشامخ. لتفرُّدي بالرفعة سموّ، وعلوّ المنزلة دون غلوّ.

* * *

---

[1] النقع: الغبار المرتفع والمنتشر يثور في الجو، قال الله تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ [العاديات: ٤].

ولما أعربت عن فضلها بأرقّ عبارة وأدق إشارة، وأوحَت إلى لأرض برمز: (إيّاك أعني واسمعي يا جارة)[1]، سلَّت الأرضُ سيفَ لانتصار من غُمده، وبراعة مطلعها عبارةٌ عن حسن الابتداء بشكر الله حمده.

ونظرت إليها بطرفها شزْرا، وقالت لها: ويك لقد كثَّرتِ نَزْرا[2]، ارتكبت بما فهت به وِزْرا. أما إنه لا يعجب بنفسه عاقل، ولا يأمن مكر به إلاَّ غافل. ولا ريب أن ادِّعاء صفات الحق شيمة غير محمودة، لأنها ما سواه تعالى عاريةٌ والعارية مردودة. وما أباح نسبتها لغيره وأجاز، إلاَّ على سبيل الاستعارة والمجاز. فلا ينبغي لأحد مجاوزة حدّه، في هزله وجدِّه. ومن ادّعى ما ليس له بقولِه أو فعله، فهلاكه أقرب إليه من شراك نعله.

وقد قيل: «من سعادة جَدِّك، وقوفك عند حَدِّك»، و «من فعل ما لا ساء، لقي ما ساء»[3]. وما كفاكِ أن خطرتِ في ميادين التيه والإعجاب، حتى عرَّضتِ بذمِّي وتعرضت لشتمي؟! إن هذا لشيء عجاب!! وهل اختصك الله بالذكر؟! أو أقسم بك دوني في الذكر؟! أو آثرك بالتقديم، في جميع كلامه القديم. حتى تردَّيت بالكبرياء، وتعدَّيت طورَ الحياء؟! لله درُّ من قال: [من الوافر]

إذا لـم تَخْـشَ عـاقبـةَ الليـالـي ولـم تستَحْـيِ فـاصْنَـعْ مـا تشـاءُ

---

١) من أمثالهم، يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئًا غيره. مجمع الأمثال (١/ ٤٩)، ومعجم الأمثال العربية (١/ ٣٧٦).

٢) النَّزْر: القليل التافه، والمقصود جعلت القليل كثيرًا.

٣) من أمثالهم، يضرب لمن لا يبالي بما يفعل، مجمع الأمثال (٢/ ٣٢٩).

فـلا وأبيـكَ مـا فـي العيـشِ خَيـرٌ ولا الــدنيــا إذا ذهــبَ الحيــاءُ

وكيف تزدرين أهلي بالذنوب والمعاصي، وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنواصي؟! على أن وقوعها لا يخلو عن حِكَم؛ لحديث أصدق من نطق وأعدل من حكم: «لو لم تذنبوا لجاءَ اللّٰهُ بقومٍ يُذنبون ليُغفَرَ لهم»، فنفى عليه السلام بذلك نقصهم، وأثبت كمالهم.

وربما انتظمت الطاعة في سِلك المعاصي والمعصية في سِلك الطاعات، فإنه لا عبرة بصور الأعمال و «إنما الأعمال بالنِّيات». وقد تبدَّل السيئة حسنةً بالتوبة والاستغفار، وتنقلب الحسنة سيئةً بالعزَّة والاستكبار.

وحسبكِ لو سلكتِ محجَّةَ الإنصاف، ولم تلجئيني إلى الانتصار والانتصاف. ما أجاب به أُسرتَكِ الملكُ العلاَّم، عمَّا لم يدركوا كُنْهُ حكمته وهم البررة الأعلام. مِنْ جَعْلِهِ فيَّ وجودَ خليفته، ومحلَّ نظرِهِ من خليقته. ثم أطلعهم به على حقائق أسمائه، ففهموا سرَّه في عالم أرضهِ وسمائه. وأمرهم لهُ بالسجود، إعلانًا بعموم خلافته في الوجود. فمنِّي الأستاذُ والمعلم، ومنك التلميذُ والمتعلم. وأنا مركز الإمام وأنت مركز المأموم، وما منّا إلاَّ لهُ مقامٌ معلوم.

وفي نزوله تعالى إليك كما في الأخبار، أعظمُ شاهد على فضلي لدى الجهابذة الأحبار. وهل ذلك إلاَّ لتجلِّيهِ للمستغفرين بالأسحار، وتولِّيه لهم بلطائف المعارف والأسرار؟ فيهيمون في تلك الحضرة، ذات البهاء والنضرة! هذا ولو ذكرتُ لكِ ما لي من المناقب والمزايا، لما وسِعَكِ إلاَّ الاعترافُ لي بحسن الشيم والسجايا.

* * *

فقابلَتْها السماءُ بوجهٍ قد قَطَبتهُ، ومِجَنٍّ قد قلبتهُ. وقالت لها في الحال:

أيتها القانعة بالمحال، ما كنتُ أحسبُ أنك تجترئين على مبارزة مثلي، وتنكرين عليَّ ما ترنّمت به من شواهد مجدي وفضلي. وهل خلْتِ أنَّ التحدُّث بالنعم مما يُلام عليه، مع أنه أمرٌ مندوبٌ إليه؟، ومن أمثال ذوي الفطنة والعقل: «ليس من العدلِ سرعةُ العَذْل»[1]. وكيف نسبت إليَّ العجب والخلل، وفضلتِ العاصي على المعصوم من الزّلل؟، متى صار القبيح لدى الورى مستحسنًا ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]. ولم جحدتِ ظهورَ شمسِ كمالي، وهل لك من الفضائل والفواضل كما لي. ولكن لك عندي عذرًا جليًّا، وإن كنتِ ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]: [من البسيط]

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشمسِ مِنْ رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ

ولو رأيت ما فيك من المساوي عيانًا، لما ثنيت إلى حلبة المفاخرة عِنانا[2]. فأنَّى تفوزين بأشرف الأقدار، وأنت موضع الفضلات والأقذار؟ وما هذا التطاول والإقدام، ووجهك موطىء النعال والأقدام؟! إنْ هذا إلاَّ فعل مكابر، دعوى عريضةٌ وعجزٌ ظاهر. وهل يحق للكثيف، أن يتغالى على اللطيف؟! أم ينبغي للوضيع، أن يتعالى على الرفيع؟! كلا إنَّ ذلك لمِنْ قلبِ الحقائق، فأين أنتِ من فهم الأسرار والدقائق؟!:

---

(١) من أمثالهم: يضرب لمن يتسرع في الملامة. معجم الأمثال ٢/ ١٩٥، ومعجم الأمثال العربية (٣/ ١٢٩).

(٢) العِنان: سَير اللجام الذي تمسك به الدابة.

[من الطويل]

لَقَدْ هَزُلَتْ حتّى بدا مِنْ هُزَالِهَا كُلاها وحتى سامَها كُلُّ مُفْلسِ

ألم تعلمي أني مثوى الملأ الأعلى، ومأوى مَنْ رفع الله مقامهم وأعلى؟!، ومطلع أنوارِ التنزيه والتقديس، لا مربع آثار التمويه والتدليس؟! ألا وإن ما تبديه من العمل المقبول، يصعد إليّ فأفتح لهُ باب القبول. وفي ذلك إشارة إلى حسن ما اشتملتُ عليهِ، وقد قيل: «شبيهُ الشيء منجذبٌ إليه». فلِمَ لم تنقادي لحكمي قولاً وفعلاً، وقد أفلح اليوم من استعلى؟!

وكيف لا أنفرد برتبة التفضيل، وغذاء أهلي التسبيح والتهليل؟ وهم سفراء الحقِّ وأمناء وحيه الرفيع، والمهيمون في شهود جلاله وجماله البديع. وللّهِ رواءُ طلعتي الباهرة، المتلألئة بالأنوار الزاهية الزاهرة. فكَمْ جَلَت بحسن منظرها الهمومَ والغموم، وتجلت لأرباب الألباب بدقائق العلوم!. وكم لاحت منها نجوم الهدى لكل حائر؟! وحالت وهي رجوم الردى لكل جائر!، وقد قال في شأني ذو المنح والمواهب: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، إلى غير ذلك من الآيات المحبّرة، المتلوَّة في صحف مكرَّمة مرفوعة مطهَّرة.

فكيف ضربتِ عن ذكر محامدي صفحًا؟ وطويت دون شهود محاسني كشحًا؟ وحديث فضلي أسرى من المثل، وأسرعُ من القمر في النُّقَل. فالزمي معي حسنَ الأدب، تظفري بكمال المُنى والأرب. وإن عادت العقرب الغادرة، فإن النّعال لها حاضرة.

* * *

فازمهرَّت الغبراء، واكفهرَّت طلعتها الغرَّاء. فكأنَّ وجهها أُسِفَّ رمادًا، أو أشرب سوادًا. وقالت لها:

أيتها المعتزَّة بطوالع أقمارها، والمغترَّة بلوامع أنوارها، «ما كلُّ بيضاءَ شحمة، ولا كلُّ حمراءَ لحمة»[1]. كم ذا أُعِيرُك أذنًا صمَّاء، وعينًا عمياء!. وأنت تصولين عليَّ بسيف الافتخار، وتنظرين إليَّ بطرف الاحتقار!. استنكافًا عن ركوني لرقِّ العبودية، وسكوني تحت مجاري أقدار الربوبية! وهل يوقع في الذنب والزَّلَّة، إلَّا التخلي من وصفَي الفقر والذِّلَّة؟!، والتحلّي بهما أولى وأحق، ولو كان صدور الغنى والعزّ بحق. فكم بين مقام التدلُّل، ومقام العبودية والتذلّل!.

فبمَ تزعمين أنكِ أتقى مني وأنقى؟ وما عند الله خير وأبقى. وقد حظيت باجتلاء أنوار الدرَّة اليتيمة، التي هي واسطة عقد الحكم والأسرار الكريمة: «مَنْ تواضعَ للَّهِ رفَعَه، ومَنْ تكبَّر وَضَعَه». فظفرت من هذه الحكمة بحلية انكساري وذلّي، وسكرت بخمرة: «أنا عند المنكسرة قلوبُهم من أجلي»!! وبينا أتعاطى براحة الشهود تلك الراحة، التي تدفع النَّصَبَ وتجلب الراحة. إذا بعوائد الفوائد تُهدى إليَّ، وخِلعِ الجمال والكمال تُخلع عليَّ. وأنتِ واقفة لي على أقدام الخدمة، جَارية في قضاء مآربي بحسب الحكمة. قد كفَّلَكِ[2] الحق بحمل مؤنتي، وكلَّفك بمساعدتي ومعونتي. ووكَّلك بإيقاد سراجي ومصباحي،

---

(١) من أمثالهم، ويروى: «ما كل سوداء تمرة ولا كل بيضاء شحمه»، مجمع الأمثال (٢/ ٢٨١)، وجمهرة الأمثال (٢/ ٢٨٧).

(٢) عهد إليك، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

ووكَلَكِ[1] إلى القيام بشؤوني في ليلي وصباحي. وما ذاك إلاَّ أني أفردت لخدمته نفسي، فصاح في رياض الأماني بلبل أنسي، مترجمًا عن سر الحديث القدسي: «يا دنيا مَنْ خَدَمني فاخدميه، ومَنْ خَدَمَكِ فاستخدميه».

وكيف أُعاب بتحمل الأذى، وإغضائي على القذى؟ وذلك دأب أهل الأدب والوفاء، العارفين أن الدنيا فناء الفناء. وكلُّ آتٍ فكأنْ قد، فما أسعدَ من صبر وتجلَّد: [من الطويل]

على قَدْرِ فَضْلِ المَرْءِ تأتي خُطُوبُهُ ... ويُحْمَدُ منهُ الصَّبرُ فيما يُصيبُهُ
فَمَنْ عَزَّ فيما يَتَّقيهِ اصطبارُهُ ... فَقَدْ قَلَّ مِمَّا يَرْتجيهِ نصيبُهُ

وأنَّى يجزع ذو قلب ثابت، وفي الله عِوَضٌ من كلِّ فائت. وانتظار الفرج عبادة، قد ندب الربُّ إليها عباده. وإن زهوتِ بحسن غُرَّة، أضحت للعين قرَّة، «فَرُبَّ أشعثَ أغبرَ لو أقسَمَ على اللَّهِ لأبَرَّه». على أني بُثينةُ الحسن لكلِّ جميل، فكم بهَرْتُ العقولَ بظرفٍ رائع وطرف كحيل! وكم ظهرتُ بشموسٍ وبدور، عليهم أفلاك المحاسن تدور. إذا كشف أحدهم عن محيَّاه وسفر، كسف بسناهُ نور الشمس والقمر. وإن تثنَّى تيهًا ودلالاً، أزرى بغصن البان لطفًا واعتدالاً.

وبالجملة فليس لي في الحسن مُجارية، فكم جمعت بين جارية ساقية وساقية جارية! ولو أمليتُ عليك فصلاً من هذا الباب، لسمعت من بدائع الأوصاف ما يُدهش الألباب. وليس علوُّكِ شاهدًا لكِ بالرتبة العليّة،

(١) وَكَل إليه الأمر: اعتمد عليه فيه وفوَّضه إليه.

فضلاً عن أن يوجب لك مقام الأفضلية. فما كل مرتفعٍ نجد، ولا كلُّ متعاظم ذو شرف ومجد: [من البسيط]

وإنْ عَلاَنيَ مَنْ دوني فلا عَجَبٌ لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عَنْ زُحَلِ

وكأنك يا هذه لا تميزين بين المكان والمكانة، وما أضل من جهل قدره فتعدى طوره ومكانه! وقد ساغ لي أن أشنِّفَ الأسماع، بما شاع من مآثري وذاع. فمن أعظم ما فقت به حُسنًا وجمالاً، وكدتُ بأخمصي أطأ الثريا فضلاً وكمالاً: تكوينُ الله مني وجودَ سيد الوجود، فأفرغ عليَّ به خِلعَ المكارم والجود. فهو بدر الكمال، وشمس الجمال. وما أحسنَ قولَ حسَّان، في بعض مدائحه الحِسان: [من الوافر]

وأجْمَلُ مِنْكَ لم تَرَ قَطُّ عَيْنٌ وأكملُ مِنْكَ لم تلِدِ النساءُ
خُلِقْتَ مَبَرّأً مِنْ كُلِّ عيبٍ كأنَّك قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشاءُ

فأكرمْ بِه من نبيٍّ أسرني به وأرضى، كيف لا ولولاه ما خَلق سماء ولا أرضا؟ وجعلني له مسجدًا وطهورًا، وأقرُّ به عيني بطونًا وظهورًا. وعزَّزه بخاصة عباده الأخيار، المؤيَّدين بصريح الآيات وصحيح الأخبار. من اختصهم بمعراج الترقِّي، وفي حضرة الاستمداد منهُ والتلقِّي. وبردِّهم إليَّ قد تفضل عليَّ، فهم في الحقيقة مني وإليّ. فأنا بالفضل أحق، ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١].

* * *

ولمَّا نشرت الأرض صحف مفاخرها، وتلت على منابر العلا سُوَر مآثرها. أبدت ما هو أدقُّ من وشي النسيم على بساط الأنهار، وأرقّ من

دمع الطلِّ على وجنات الأزهار. فأبرقت السماءُ وأرعدت، وأرغت وأزبدت. وقالت:

أما علمتِ أن ريحَكِ لاقت إعصارًا، وجدولَك صادف تيارًا؟ فأقسم بمن بناني، ورفع سمكي فسوَّاني. إن لم تتخطَّي خُطَّةَ المكابرة، وتتخلي عن هذه المثابرة. لأغرقنَّك في بحار طوفاني، أو أحرقنَّك بصواعق نيراني. وهل امتطيتِ السِّماكين، أو انتعلتِ الفرقدين[1]؛ حتى تفتخري عليّ، وتشيري بالذم إليَّ؟! وتلك شهادة لي بالكمال، ولقد صدق من قال: [من الكامل]

وإذا أتَتْكَ مَذَمَّتي مِنْ ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأنِّي كاملُ

أم حسبت أن لك في ذلك حجة، فخاطرت بنفسك في ركوب هذه اللُّجة، وكنت كالباحث عن حتفهِ بظِلْفِه؛ والجادعِ مارنَ أنفِه بكفِّه: [من البسيط]

لكُلِّ داءٍ دواءٌ يُستَطَبُّ بِهِ إلاَّ الحماقةَ أَعيَتْ مَنْ يُداوِيَها

أمَّا دعواكِ: «أني واقفة لك على أقدام الخدمة»، فهي مما يوجب لي عليك شكرَ الفضل والنعمة. أما روي عن عظيم القدر والجاه: «مَنْ لم يَشْكُرِ النَّاسَ لم يشكرِ الله». على أنني لا أريدُ منك جزاءً ولا شكورًا، بل عاملتُ ربي فكان سعيي لَدَيه مشكورًا. بيدَ أنه لا يُساء إلى المتفضل المِحْسان و ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؟!

---

(١) السماكان: نجمان نيِّران، والفرقدان: نجمان من نجوم الدب الأصغر.

ولو تفكّرت أن خادمَ القوم هو السيّدُ والمولى؛ لعرفت الفاضل من المفضول، أو تدَّبْرتِ أن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى؛ لاستقلت من هذا الفضول. فإن في قيامي بشؤونك أوضحَ أمارة، على أن لي الولايةَ عليكِ والإمارة. وقد غذيتكِ[1] بدَرٍّ كالدُّرِّ[2] واللآل، وربَّيتكِ في حِجْرِ الرفاهية والدلال. وكسوتُكِ بعد أن كنت عارية، ولم يك ذلك مني عارية.

ولمَّا أمعنت فيك النظر، واجتليت منك وجوه العبر. ألفيتُك تدَّعين حسن التدبير، وأنت متصفة بالسَّرَف والتبذير. فأبقيتك تحت حكمي وتصرّفي، وأسبلت عليك سِتر برّي وتعطّفي. ولو آنس قلبي منك الرشدَ والكمال، لما صبا إلى ادِّخار ذخيرة لك ولا مال.

وأما قولك: «مني سيدُ الوجود، ومن اصطفاهم لحضرته الملكُ الودود». فإن كنتِ تفتخرين بأشباحهم الظاهرة، فأنا أفتخر بأرواحهم الطاهرة. أما علمتِ أنها في ملكوتي تغدو وتروح، وبواردَيْ بسطي وقبضي تشدو وتنوح؟. فأنا أولى بهم، وأحرى بالافتخار بحزبهم. وهل تكون رقّة المباني، إلاَّ بحسب دقَّة المعاني؟ فمنك الأصدافُ ومني الدُّرَر، فما عندك من النفائس والغُرر؟!

ومن قلَّةِ عدلك وإنصافك. وعدم تحلِّيك بالحق واتصافك: أنَّكِ افتخرتِ بصفوة العباد، وتعاميت عن أهل البغي والعناد. مع أن أكثر قومك قد استحوذَ عليهم الهوى، وانقضَّ نجمُ سؤدُدِهم من سماء المجد

---

(١) غـذيتك: غـذوتك أي أطعمتـك، قـال صاحب القـاموس: غذيته: غذوته. ولم يعرفه الجوهري فأنكره.

(٢) الدَّر: اللبن، والدُّر: كبار اللؤلؤ.

وهوى. فكم تجرّعوا عليك من ذَنوب[1] الذنوب، فسترت تلك العيوب واللّهُ علاَّمُ الغيوب! وهل توهّمت أن هذه العادة، عنوانٌ على الفضل والسعادة؟ كلا إنها لشِنشِنة[2] ذميمة، وجِبلَّة تأنف منها النفوس الكريمة. فإلى متى أطوي عرضَكِ على غِرَّة، وأصون شَغَاكِ[3] عن فِرَّة[4]؟ وأنتِ تجعلين مفاخري هباءً منثورًا، وتعدّين مآثري كأن لم تكن شيئًا مذكورًا! وكلما أتيتُك بآية محكمة أو حديث وارد، كنتُ في ذلك كمن يضرب في حديدٍ بارد! فأقلِّي من الهذَيان والهَذَر، وخذي لنفسك مني الحَذَر؛ فإن نارَ بأسي لا تُبقي ولا تَذَر.

* * *

فلما سمعتِ الأرضُ من السماء، مقالةً تقطر من خلالها الدّماء. أطرقت لمحةَ بارقٍ خاطف، أو نَغَبةَ[5] طائرٍ خائف. ثم أقنعت رأسها، وصعّدت أنفاسها. وقالت: لقد أكثرتِ يا هذه من اللغط، وما آثرتِ الصواب على الغَلَط. فعلامَ تهزئين بي، وتسخفين بحسبي ونسبي؟ وإلام تنقُضين عُرى أدلّتي، ولا تعامليننني بالّتي؟!، وحتامَ تقابلينني بأنواع التأنيب، ولم تقفي على حقيقتي بالتنقير والتنقيب؟!

---

(١) الذّنوب من الدلاء: العظيمة أو الملأى ماءً.

(٢) الشنشنة: الطبيعة والسجية.

(٣) الشَّغا: اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج. القاموس (شغو).

(٤) الغِرَّة: الغفلة في أثناء اليقظة، والفِرَّة: الابتسامة.

(٥) نَغَب الطائر: حسا من الماء ولا يقال شربَ، والنَّغبة: الجُرعة، ويُضم. القاموس (نغب).

أحسِبت أن الجسم ما خلق إلاَّ عبثًا، ولا كان للنفس النفيسة إلاَّ جَدَثًا؟ وفي ميدانه تتسابق الفهوم، وتُدرَك عوارفُ المعارف والعلوم. وبه تترقَّى الأرواح، في مراقي الفلاح. وكيف لا يكون مقدّسًا من كلِّ غَيٍّ وغَين[1]، وهو لا يفتر عن تسبيح بارئِهِ طرفةَ عَين؟! ولو كشف لك عن حقيقة من حقائقه، أو رقيقة من رقائقه، لاعترفت بفضلي اعتراف والهٍ كَلِف، وعرفت من أينَ تؤكل الكَتِف.

وأما ما عيرتني به من صون أسرار الأشرار، الذين استهوتهم دواعي الغفلة في أودية الأوزار. فهل وقع ذلك إلاَّ وأنتِ ناظرة إليه، عالمة به من قبل أن أطَّلع عليه؟! فما بالك نسيت نفسك أصلاً، ونسبت إليّ ما أنت به أولى؟ وقد علمت أنَّ رحمة الوالدة، معذرةٌ لها وحجة عليك واردة. مع أني لا أزال أتعهد موعظتهم بلسان الحال، وأحاول انتشالهم من تلك الأوحال. حتى يأذن الله لهم بالتوفيق، إلى اقتفاء مناهج التحقيق. فكم ذا أنتِ عليَّ متحاملة، وعن آية العدل والإحسان متماحلة؟ وأنا لك أسمع من خادم، وأطوع من خاتم.

على أن لي من الفضائل، ما ثبت بأصحّ البراهين والدلائل. أَمَا فِيَّ بقعة من أشرف البقاع على الإطلاق، لضمّها أعضاء من تمم الله بهِ مكارمُ الأخلاق؟ وفِيَّ روضةٌ من رياض الجنة، كما أفصحت عن ذلك ألسنةُ السنَّة؟ ومنِّي الكعبةُ والمَشْعَرُ الحرام، والحجرُ وزمزمُ والركنُ والمقام. وعليَّ بيوت الله التي تشدّ إليها الرحال، و ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۞ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. وقد جعلني الحقُّ للبريَّة بساطًا، وأودع في

(١) غشاوة.

منازلي بحكمته أنسًا وانبساطًا. وأخرج مني طيبات الرزق فأكرمَ بها عباده، وأتمَّ نعمته عليهم فجعل الشكر عليها عبادة. وجعل القرب مني عينَ القرب إليه، وفي ذلك سرٌّ بديع لمن عثر عليه. لقول من حضَّ أمته على ملازمة المساجد: «أقربُ ما يكونُ العبد مِنْ ربِّهِ وهوَ ساجد».

وكفاني بذلك شرفًا وعلوًّا، وإن جحدتِ بآياتي ظلمًا وعُتوًّا. وناهيكِ بما اشتملتُ عليه من الرياض والغياض[1]، ذات الأنهار والحياض[2]؛ التي تشفي بنسيمها العليل، وتنفي ببرد زلالها حرَّ الغليل. وما أرقَّ قولَ من قال، عندما رتع في ظلالها وقال: [من الكامل]

لمَ لا أهيمُ على الرياضِ وطيبها ... وأظَلُّ منها تَحْتَ ظِلِّ ضافِ

والزَّهرُ يضحكُ لي بثغرٍ باسمٍ ... والنَّهرُ يلقاني بقلبٍ صافِ

وحيثُ إن الشيء بالشيء يُذكر، والاستطراد لأدنى مناسبة لا يُنكر. فدونكِ نبذةً في فضل فصل الربيع، منمنمةَ البُرود[3] بحسن وشي الربيع. إذ لا يخفى أنه شامة بين الفصول، قد عُقِدت لنشر مزاياه أبدع الفصول. وجههُ وسيم، وأنفاسه نسيم. رائق الديباجة، رقيق الزجاجة. غصن شبابه رطيب، وبرد صباه قشيب. معتدل المزاج، متسع الفجاج. عاطر الأرجاء في كل حين، بفنون الأزاهير والرياحين. أوقاته شبيهةٌ بأوقات الجِنان، تبتهج بها النفس وينشرح الجَنان، يتلو لسانُ حاله بصوت رخيم: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩].

---

(١) جمع غَيضة وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء.

(٢) جمع حَوض وهو مجتمع الماء.

(٣) جمع بُرْد وهو الثوب المخطط.

فهو ذو اليد البيضاء، والعيشة الخضراء. والموارد الصافية، والمطارف الضافية. فكم أسدى إلى الناس جميله، وبسط لهم بساط أنسه في جميله. ولا غَرْو أن يوسم بمديد الفضل والنَّدىٰ، وبه ترتشف الشمس من ثغور الأقاح قطر النَّدى[1]. يحكي الورَق منه الورِق[2]، فكأنه والغصنَ يَراعٌ وَرِقّ، ويزري زَهره بالزُّهر[3]، ويغري بالبيض والصفر. فما الدُّرُّ المحبوك، وما التبر المسبوك؟ غصونهُ ترقص فتميس وتميل، وطيوره تغني فتطرب بحسن الهديل. الورود تدعو إلى حسن الورود، وقد بدت كواكبها الدرِّية في مطالع السعود: [من مجزوء الرمل]

كَتَبَ الوردُ إلينا ... في قراطيسِ الخدودِ
يا بني الأنسِ صِلُوني ... قد دنا وقتُ الوُرودِ

تهبُّ في الأدواح منه الأرواح، فتحيي الأشباح وتنعش الأرواح. لياليه كلها أسحار، وأيامُه ذات أنواء وأنوار. وسحابهُ ماطر، وترابهُ عاطر: [من البسيط]

ما الدهرُ إلَّا الربيعُ المستنيرُ إذا ... وافى الربيعُ تجلى النُّوْرُ والنَّوْرُ
فالأرضُ ياقوتةٌ والجوُّ لؤلؤةٌ ... والنّبتُ فيروزجٌ والماءُ بِلَّوْرُ

وما ألطف ما قيل في وصف أنواره، وقد حل النسيم أزرارَ أزهاره: [من الخفيف]

مرحبًا بالرَّبيعِ في آذارِ ... وبإشراقِ بهجةِ الأزهارِ

---

(١) الندى: قطرات الماء على النبات، والندى الأولى: الجود والسخاء.
(٢) أي يشبه ورقه الفضة.
(٣) الكواكب.

مـــن شقيـــقٍ وأُقحـــوانٍ ووَرْدٍ وخُـــزامٍ وســـوســـنٍ وبهـــارِ
زهـرة عنـد زهـرة عنـد أخـرى كـاقتـرانِ الـدِّينـارِ بـالـدِّينـارِ
أو كـأوراقِ مُصْحـفٍ مِـنْ لُجَيْـنٍ مُـذهَبـات الأخمـسِ والأعْشـارِ

يزهو في خمائلهِ المنثورْ، فيهزأ بالمنظوم والمنثور. ويلوح البنفسَج في برده البهيّ البهيج، ويفوح فيفوق المسك بحسن الأريج. وزهوّ الياسمين، كأنهُ درٌّ ثمين. وما أظرف ما قيل في النرجس: [من الكامل]

أرأيتَ أحسنَ من عيونِ النّرجسِ أو مِنْ تغَازُلِهِنَّ وَسْطَ المَجْلسِ
كـالـدُّرِّ يُسْفـرُ عَـنْ يـواقيـتٍ علـى قُضُبِ الزُّمُرُّدِ في بساطِ السُّنْدُسِ

وقد جرت بَينهُ وبين الورد، مناظرات تروق معانيها كالجوهر الفرد. وهي لعمري ألطف من مخالسة القُبَل، وأظرف من مُغازلة المُقَل. فقال منصفًا بينهما من حكم، ولله درُّهُ ما أعدلهُ من حَكَم: [من الطويل]

ألستَ ترى في الروضِ باقاتِ نرجسٍ بَـدَتْ حـولَهـا للنـاظـريـنَ ورودُ
فهـذي خـدودٌ مـا عليهـنَّ أعيـنٌ وتلـكَ عيـونٌ مـا لهـنَّ خـدودُ

وما أوردتهُ فشيء نَزْر، وقطرة من بحر. إلاَّ أنَّ ما لا يدرك كله، لا يترك قُلُّه.

* * *

فأسفرت عن بدر طلعتها السماء، وهي تزهو في برد السنا والسناء. وقالت تناجي نفسها عندما رقَّ السَّمَر: حتَّام «أريها السُّهى وتريني القمر»[1]؟! ثم عطفت عليها تقول، وهي تسطو وتصول:

---

(١) من أمثالهم، يُضرب لمن يغالط فيما لا يخفى. مجمع الأمثال (١/ ٢٩١)، ومعجم الأمثال العربية (٢/ ٤٠٣).

أيتها المتعدِّية لمفاضلتي، والمتصدِّية لمناضلتي، متى قيس التُّرْبُ بالعَسْجَد[1]؟! أو شِبه الحصى بالزَّبَرْجَد[2]؟ إن افتخرت بشرف هاتيك البقاع، التي زها بها منكِ اليفاعُ والقاع. فأين أنت من عرش الرحمن، الذي تعكف عليه أرواح أهل الإيمان؟ وأين أنت من البيت المعمور، والكرسيّ المكلَّل بالنور؟ وإنْ كوَّنَكِ الحقُّ للخلق بساطًا، وجعل في ربوعك لهم طربًا ونشاطًا. فقد جعلني سقفًا محفوظًا، لم يزل بعين العناية ملحوظًا.

وكيف تفتخرين عليَّ بروضة من رياض الجنة، وهي عليَّ بأسرها تفضلاً من الله ومِنَّة؟! أم كيف تزعمين أنهُ «كتب لك بأوفر الحظوظ»؟ وعندي القلم الأعلى واللوح المحفوظ؟! وأما ازدهاؤك بالحياض والأنهار، والرياض المبتهجة بورود الورود والأزهار. فليت شعري هل حويت تلك المعاني، إلاَّ بنفحات غيوثي وأمطاري؟! أم أشرقت منك هاتيك المغاني، إلاَّ بلمحات شموسي وأقماري؟! فكيف تباهينني بما منحتُكِ إياه، وعطَّرتُ أرجاءَكِ بأريج نَشْره وريَّاه؟! ويا عجبًا منك كلما لاح عليَّ شعار الحزن، خطرتِ في أبهى حلة من حلل الملاحة والحسن. وإن افترّت ثغورُ بدورِ أنسي، وقرَّت ببديع جمالي عينُ شمسي. زفرتِ زفرة القيظ، وكدتِ أن تتميَّزي من الغيظ. وهذا دليل على ما جبلتِ عليهِ من الحسد، ولا جرم أنَّ ما في الباطن يظهر على الجسد: [من الطويل]

يأبى الذي في القلبِ إلاَّ تبيُّنًا ... وكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ يَرْشَحُ

---

(١) الذهب.

(٢) حجر كريم ذو ألوان كثيرة.

ما هذا الجفاء، يا قليلةَ الوفاء؟! وهل صفت أوقاتُكِ إلاَّ بوجودي، أو طابت أقواتك إلاَّ بوابل كرمي وجودي؟! ولو قطعت عنك لطائفَ الإمداد، لخلعت ملابسَ الأنس ولبست ثيابَ الحِدَاد. أو حجبتُ عنكِ الشموسُ والأقمار، لما ميَّزت بين الليل والنهار. فهلا كنت بفضلي معترفة، حيث إنك من بحر فيضي مغترفة؟ طالما عبثت أيدي الحَدَثان[1] بلطائفك الزاهرة، ونفثَت أراقمُ[2] الليالي بسُموم سَمومها[3] في محاسنك الباهرة. فأهديت إليك أزهارًا بديعة المحاسن، وأجريت لك أنهارًا من ماءٍ غير آسن؛ فتضاحكت مباسمُ الرياض والغياض، غِبَّ أن تباكَت عيونُ الجداول والحياض.

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة: ٧٥]، وما انطوت عليه من الأسرار والعلوم. إن لم تغضِّي من طرفِكِ بعضَ الغَضّ. لأذْوِيَنَّ بِحرِّ هجيري ورْدَ وجنتِكِ الغَضّ. وهل أنتِ أهل لمنافثتي في معاني الفضل والكمال؟ أو منافستي في مجال الحسن والجمال؟ وقد تفردتُ لا محالة في البهاء والمَلاحة، وانفردتُ بجمعي بين الحماسة والسماحة. فأنَّى يغترُّ بزهرتك وأنت خضراءُ الدِّمَن[4]؟ وهل نزهة حدائقك إلاَّ برهة من الزَّمَن؟

هذا وحيث أعربتِ عن زمن الربيع، وأغربتِ في وصف جماله البديع. فلِمَ أضربتِ عن بقية الفصول؟ وهل حسبت أن ذكرَها ضرب من الفضول؟ كلا إن سكوتَكِ عنها مجرَّدُ تغافل، ومحض تَبَالُهٍ وتجاهُل. إذ كُلٌّ منها كَلٌّ على القلوب، مُؤذنٌ بهجوم الهموم وضروب الخطوب. وهل

---

(١) حَدَثان الدهر: حوادثه ونُوَبُهُ.

(٢) جمع أرْقَم، وهو أخبث الحيَّات.

(٣) السُّموم: جمع سُمّ، والسَّموم: الريح الحارة.

(٤) جمع دمنة، وهي المِزْبَلة.

لها مزيّةٌ أو منقبة فاخرة، سوى أنها تُزَهِّد في الدنيا وترغب في الآخرة:

[من البسيط]

إنْ كـانَ فـي الصيـفِ ريحـانٌ وفـاكهـةٌ
فـالأرضُ مُسْتَـوقَـدٌ والجـوُّ تَنُّـورُ
وإنْ يكُنْ في الخريفِ النَّخْلُ مُختَرَفًا[1]
فـالأرض عُـريـانـةٌ والجـوُّ مقـرورُ
وإنْ يكُـنْ فـي الشتـاءِ الغيـثُ متصـلاً
فـالأرضُ محصـورةٌ والجـوُّ مـأسـورُ

وكيف تزعمين الشفقة على أولادك، ورعي ذِمام[2] أهل محبتك ووداد؟ وأنتِ تأكلين لحومَهم أكلَ النَّهيم، وتشربين دماءهم شرب الهِيم! فكم خلَّيتِ بين وَدودك ودودك، ولم تَعُدِّي ذلك من جفوتِكِ وصدودِكِ؟! ولا عَجَب فإن قلبكِ من حَجَر، وبقسوتهِ ضُرب المثل في البدو والحَضَر.

* * *

فنزعَتِ الأرضُ عن مقاتلتِها، وعلمَتْ أنها لا قِبَل لها بمقابلتها. وحين عَجَزت عن العوم في بحرها. واستسلمت تمائمها لسحرها، بسطت لها بساطَ العتاب، متمثلة بقول ذي اللطف والآداب: [من الوافر]

إذا ذهـبَ العِتـابُ فليـسَ وُدٌّ ويبقـى الـودُّ مـا بقـي العِتـابُ

ثم قالت: اعلمي أيتها الموسومةُ بسلامة الصدر، الموصوفة بسموّ المنزلة وعُلوِّ القدر: أن الله ما قارن اسمي باسمك، ولا قابل صورة جسمي بجسمك.

---

(١) اخترف الثمرة: جناها.

(٢) الذِّمام: العهد والأمانة.

إلاَّ لمناسبة عظيمة، وأُلْفة بيننا قديمة. فلا تُشمّتي بنا الأعداء، وتسيئي الأحبَّاء والأودَّاء. فإن ذلك من أعظم الرزايا، وأشدّ المحن والبلايا: [من الكامل]

كُلُّ المصائب قَدْ تُمرُّ على الفتى فَتَهُـونُ غيـرَ شمـاتـةِ الأعـداءِ

ألا وإنَّ العبد محلُّ النقص والخلل، وهل يسوغ لأحد أن يبرىء نفسهُ من الزَّلَل؟ ومن يَسْلَمُ من القَدْح، ولو كان أقومَ من القِدْح[1]؟!:

[من الطويل]

ومَنْ ذا الذي تُرضى سَجاياه كلُّها كفى المرءَ فَضْلاً أن تُعَدَّ مَعايِبُهْ

هذا وإن لي مفاخرَ لا تُنكر، ومآثر تجلّ عن أن تحصر. كما أنك في الفضل أشهرُ من نار على علم، وأجلُّ من أن يحصي ثناءً عليك لسانُ القلم. فإلى متى ونحن في جدال وجِلاد؟ نتطاعن بأسنّةِ ألسنةٍ حِداد؟! وهل ينبغي أن يجرَّ بعضُنا على بعض ذيلَ الكِبْرِ والصَّلَف، بعد ما كنا عليه من حسن الود والكَلَف؟! ولكن عفا الله عمَّا سلف.

على أني ما أشرعت قبلك سنان المناظرة، إلاَّ بعد أن فوَّقتِ[2] لي سهامَ المشاتمة والمشاجرة. فإن الجزاء من جنس العمل، وأنّى لي بالصبر وأنا مطبوعةٌ على العَجَل؟ وما يبدو عليَّ من لوائح السرور والكمد، لم يكن ناشئًا عن بُغض لك أو حسد. وإن جنح بعضهم إلى التشبيه، وسلك في قوله مسلك التمويه: [من الخفيف]

إن هـذا الـرَّبيـعَ شـيءٌ عجيـبٌ تضحكُ الأرضُ من بكاءِ السّماءِ

ذَهَـبٌ أينمـا ذهبنـا، ودُرٌّ أيـن دُرْنـا، وفضَّـةٌ فـي الفضـاءِ

---

(١) قطعة من الخشب مستوية.

(٢) فوَّق السهم: جعل له فُوْقًا، وهو موضع تثبيت الوتَر منه.

وإنما أنا ذات ولد وبنين، لم أزل أعاني بهم كلَّ وَلَهٍ وحَنين. فإن عاملْتِهم بالجميل، قابلتُكِ بالبشاشة والوجه الجميل. وإن حبستِ عنهم سحائبَ المِنَح والمِنَن، فتحكَّمَتْ فيهم صنوفُ الصُّروفِ والمِحَن. قاسيتُ لأجلهم كلَّ بأس وبوس، فأورثني ذلك شدة التقطيب والعبوس. وما اتُّهمت به من اغتيالهم، بعد زهوِّهم عليَّ واختيالهم. فمعاذ الله أن يصدر مني ذلك، أو أصبو إلى سلوك تلك المسالك.

وكيف لا أكون حَرِيَّةً بحفظِ النفوس والأموال، وبـي في الحفظ والأمانةُ تضرب الأمثال؟ غير أن الأشباح، بعد مفارقة الأرواح. تحِنُّ إلى وصلي حنينَ الفرع إلى أصلهِ، فترجع إليَّ رجوعَ الغريب إلى أهله. ويحصُل لها بالاتحاد بـي غايةُ المنى، حتى أصيرَ أنا هي وهي أنا. وهذه لعمري، حقيقة أمري. فانظري إليَّ بعين الرضى، واصفحي بحقِّكِ عما مضى.

* * *

ولما سمعت السماء هذه المقالة، التي تجنح إلى طلب السلم والإقالة، قالت لها: مآربُ لا حفاوة، ومشربٌ قد وجدتِ له حلاوة. وما ندبتِ إليه من المودَّة والألفة، «فلأمرٍ مّا جَدَع قصيرٌ أنفه»[1]. ولو لم تلقي إليَّ القِياد، لعاينتِ مني ما دونه خرطُ القَتاد. ولكن لا حرج عليكِ ولا ضير، فإنك اخترتِ الصلح والصلح خير. وكيف جعلت العتاب شرطًا بين الأحباب، أوَ ما سمعت قولَ بعض أولي الألباب؟ [من الطويل]

إذا كُنْتَ فـي كُـلِّ الأمـورِ معـاتِبًـا صديقَكَ لم تلقَ الذي لا تُعاتبُهْ
وإن أنتَ لم تشربْ مرارًا على القَذى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تصفو مُشارِبُهْ

(١) من أمثالهم، يضرب لمن يضمر شيئًا يدل عليه فعله. مجمع الأمثال (٢/ ١٦٩)، ومعجم الأمثال العربية (١/ ٣١٤).

وها أنا رادَّة إليك عوائدَ إحساني، وموائدَ جودي وامتناني. فقَرِّي عينًا وطيبـي نفسًا. وتيهي ابتهاجًا وأُنسًا. وأبشري ببلوغ الوطَر، وزوال البؤس والخطر.

فسجـدَتِ الأرضُ شكـرًا، وهـامَـتْ نشـوةً وسُكْـرًا. وتهلّـل وجهُهـا سرورًا، وامتلأت طَربًا وحُبورًا.

* * *

وعندما ركد النسيم، واستقرّ أمر التسليم. رويتُ عنهما ما يزري بالطِّلا[1] في الكؤوس، ويأخذ بمجامع القلوب ويمتزج بأجزاء النفوس. ورأيت كلاًّ منهما في سلوك تلك المحجة، تستدل على فضلها بأوضح بيِّنة وأقوى حجَّة.

ثم نظرتُ في العالمين، نظرَ محقِّق دون مَيْن؛ فألفيتُ هذا العالم هو مركز دائرة السيادة، لأنه اجتمع فيه ما في العالم العلويّ وزيادة. وكيف لا؟ وبه أقيم شرعُ ذي الكرامة، وسما عرش الخلافة والإمامة.

فجعلـت أتـوسَّـم وجـوهَ الـوجـود. لأحظـى بمـن أوتـي هـذا المقـام المحمـود. فـأهديـه هـذه المعـاني التـي هـي ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، وأذيِّلها بمدحه إذ هو عبارة عن حسن الختام. فاهتديتُ إليه بنشرِ ثنائه، وبِشْر طلعتِه وسنائِه. فإذا هو السيد الذي طلع من المغرب بدرُ كماله، فسطعَ أفقُ المشرق بشمس جمالِه. وفرعُ دوحة النبوَّة، وأصلُ المكارم والفتوَّة. ذو الحسب الطاهر، والنسب الباهر. السنيّ، حضرةُ مولانا الأمير السيد عبد القادر الجزائري الحسني. لا زالت وجوه الآمال

---

(١) الخمر.

تستقبل شطرَ حرمه، ولا برحت وفودُها تطوف بكعبة بِرِّه وكرمه؛ فإنه في محيَّا الدهر غُرَّة، ولعين المجد قُرَّة: [من الطويل]

إذا زانَ قومًا بالمناقبِ واصفٌ ذكرْنا له فَضْلاً يزينُ المناقِبا

وبالجملة فلهُ شِيمٌ حُسنى، تفوق الشمس بهجةً وحُسنا. بين حماسة وسماحة، وفصاحة وصباحة: [من الطويل]

شمائلُ لا بُرْدُ النسيمِ مْعَطَّرًا حكاها ولا خَدُّ الشَّمولِ مُوردَا

إذا شبَّ نار الوغى وأورى، فما أكثرَ القتلى وما أرخصَ الأسرى. وإن جادَ لرائد الغوث والفَرَج، فحدِّث عن البحر ولا حَرَج. يتهلل وجهه الشريف عندما تمطر كفُّهُ بالبيضاء والصفراء، ولا غَرْو فإنه ابن خير من أظلَّته الخضراء وأقلَّته الغبراء. فيا له من مُفْرَدٍ كامل، قد جمع الله بهِ أشتات الفضائل: [من الطويل]

عَطاءٌ ولا مَنٌّ وحُكْمٌ ولا هوى وحِلْمٌ ولا عَجْزٌ وعزٌّ ولا كِبْرُ

ولما مثُلْتُ بين يديه، وحسنَتْ خاتمةُ مقامتي لديه؛ ظفرت بجميع أوطاري، في سائر شؤوني وأطواري. فطفِقْتُ أشكرُ الله تعالى على فضله وأحمد، وأصلي على من اسمُهُ في الأرض مُحَمَّدٌ وفي السماء أحمد.

* * *

# فهرس المحتويات

*مقدمة.....أ-ب

**الفصل الأول: في المناظرة والحجاج**

**المبحث الأول: المناظرة وأنواعها**

**I.مفهوم المناظرة:**

أ-لغة .....5

ب-اصطلاحا.....5-6

**II.أنواع المناظرة:**

1-مناظرة طائفية.....7

2-مناظرة علمية.....7-9

3-مناظرة أدبية.....9-10

**المبحث الثاني: الحجاج مفاهيمه وآلياته النظرية**

**I.مفهوم الحجاج**

أ-لغة.....11

ب-اصطلاحا.....11-13

**II.تقنيات الحجاج(أنواعها)**

1-الطرائق الاتصالية.....14

1-1الحجج شبه المنطقية.....14

1-2الحجج المؤسسة على بنية الواقع.....16

1-3الاتصال المؤسسي لبنية الواقع.....19

1-4-الطرائق الاتصالية في الحجاج: الفصل بين المفاهيم.....19-20

**III.العلاقات الحجاجية:**

1-علاقة التتابع.....20

2-العلاقة السببية.....20

3-علاقة الاقتضاد.....20

4-علاقة الاستنتاج.....21

5-علاقة عدم الاتقاء أو التناقض.....21

**IV.منطلقات الحجاج:**

1-الواقع.....21

2-الحقائق.....21

3-الافتراضات.....21

4-القيم.....22

5-الهرميات.....22

6-المعاني أو المواضيع.....22

**المبحث الثالث: أنماط الحجاج**

I.الأساليب البلاغية.....23-26

II.الأساليب المنطقية.....26-28

III.الأساليب اللغوية.....28-31

**الفصل الثاني: آليات الحجاج في المناظرة؛ الأساليب البلاغية واللغوية والمنطقية**

**I.المبحث الأول: الأساليب البلاغية:**

1-الاستعارة الحجاجية.....33-35

2-الاستفهام.....35-37

3-الأمر والنهي.....37-38

4-التهديد.....38

5-المحسنات البديعية.....39-41

**II.المبحث الثاني: الأساليب اللغوية**

1-الروابط الحجاجية.....42-46

2-معاني الصيغ الصرفية.....46-48

3-تقنية التكرار.....48-49

**III.المبحث الثالث: الأساليب المنطقية**

1-السلم الحجاجي.....50-52

2-الشاهد والمثل.....52-56

3-الحجاج بالسلطة.....56-57

4-تطويع الأدلة(الحجج).....57-59

*خاتمة..... 61

*قائمة المراجع.....63-67

*الملاحق.....65-89

*فهرس المحتويات.....91-94